المشرق الاسلامي ما بين القرنين (8– 15م)

كلية: العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

مقياس: المشرق الاسلامي ما بين القرنين (ق 8– ق 15م)

المستوى الدراسي:03

السداسي:05

وحدة التعليم: الاساسية

الرصيد: 05

المعامل: 02

الحجم الساعي: 45سا

طريقة التقييم:علامة الأعمال الموجهة50% +الامتحان. %+50

اسم ولقب الاستاذ:مُحَّد الصديق محمودي

البريد الالكتروني:mohamedelseddik.mahmoudi@univ-msila.dz

–أهداف المقياس:يكتسب الطالب من خلال دراسته لهذه المادة التعرف على تاريخ العهد الثاني من الدول الأموية وتاريخ الدولة العباسية والمستوى الحضاري التي عرفته طوال فترة وجودها.

–التقويم التشخيصي والمكتسبات القبلية:

المكتسبات القبلية :فترة صدر الإسلام وتاريخ الدولة الأموية العهد الأول ، وما تميزت به من مختلف مظاهر الحياة السياسية والعسكرية في صراعها مع الروم والفتوحات شرقا وغربا.

تقويم تشخيصي :ما هي ابرز سمات العصر الاموي واسباب سقوط الدولة الاموية؟

–محتوى أو محاور المقياس:

محاضرات السداسي الخامس:

المحور الاول: الدولة العباسية

المحاضرة الاولى: أسباب سقوط الدولة الاموية

المحاضرة الثانية: قيام الدولة العباسية (132–656هـ/750–1258م)

المحاضرة الثالثة التطور السياسي للدولة العباسية

المحور الثاني: الحركات السياسية والاجتماعية في الخلافة العباسية.

المحاضرة الأولى: الحركات السياسية

المحاضرة الثانية: الحركات الاجتماعية

المحور الثالث الدويلات المستقلة عن العباسيين.

المحاضرة الأولى: اسباب الاستقلال

المحاضرة الثانية:الدويلات المستقلة

المحاضرة الثالثة النتائج

المحور الرابع الإجتياح المغولي للمشرق الإسلامي ونتائجه .

المحاضرة الأولى: المغول

المحاضرة الثانية:اوضاع المشرق في القرن 6هـ/12م

المحاضرة الثالثة الغزو المغولي وسقوط بغداد

المحاضرة الرابعة النتائج:

محاضرات السداسي الخامس / السنة الثالثة/ المادة: المشرق الإسلامي ما بين القرنين (ق 8– ق 15م)

المحور الاول: الدولة العباسية

المحاضرة الاولى:أسباب سقوط الدولة الاموية

هدف المحاضرة:تبيين الاسباب المباشرة وغير المباشرة التي ادت الى سقوط الدولة الاموية مع التركيز على الاسباب الذاتية لرصد عوامل الضعف لتجنبها.

الدولة الأموية هي الكيان السياسي الثالث في التاريخ الاسلامي، واشتهرت بالجهاد وكثرة الفتوحات حتى سميت بها، وبالرغم من قوتها واتساعها إلّا أنّه تكالبت عليها الفتن وعوامل الضعف حتى سقطت على يد العباسيين سنة (132هـ/750م) وهذه العوامل هي:

1-الصراع على الحكم بين الأمويين: فقد أخذ الصراع داخل البيت الأموي أشكالا خطيرة في نهاية خلافتهم وصلت إلى القتل،من ذلك لما تولى الخلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك شرع في الانتقام من رجال الخليفة السابق عمّه هشام، ما أدى إلى ثورة ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك وقتله للخليفة سنة 126هـ/744م) ثم ثار بعد ذلك أمير إرمينية مروان بن مُحَمَّد وأخذ الخلافة بالقوة، كل هذا ساهم في اضعافهم وقوة أعدائهم لانشغالهم عنهم.

2-التعصب للعرب: فقد اشتهرت الدولة الأموية بانّها دولة عربية واتهمت زورا بازدراء الأجناس الأخرى، هذا ما أدى إلى تأجيج العصبية العرقية بين العرب وغيرهم، وظهور الشعوبية، وصار غير العرب يتحينون الفرص للغدر بالأمويين واتباع كل ثائر عليهم، فالعباسيون كان أكثر أنصارهم في الثورة على الأمويين من الفرس.

ولكن يجب أن نشير إلى أن سياسة الامويين في تفضيل العرب لم تكن عنصرية، وإنّما لأسباب دينية وهي عدم إعطاء المناصب القيادية إلّا لم يثقون في دينه تمام الثقة حتى لا يغدر بالدولة ومن حسن إسلامه سلموه ما يستحق كطارق بن زياد الذي قاد فتح الاندلس، والسبب الثاني العمل على نشر اللغة العربية وذلك لا يكون إلّا بمن يتقنها فانتشارها يساهم في انتشار الاسلام وهذا ما عمل عليه الامويون.

هذا ما ساهم في انتشار الاسلام واللغة العربية، ولكن أهل الفتن من الأعاجم خاصة الفرس كان لهم أهداف أخرى لمصالحهم الحضارية ومازالوا إلى اليوم أكبر سرطان في جسد الأمة الاسلامية.

3-العصبية العربية:أي العصبية بين القبائل العربية عرب الشمال وعرب الجنوب، فكان كلما تقرب خليفة من جهة عادته الجهة الاخرى، ورفضت نصرته، ما ساهم في ضعف الجيش الذي كان يتكون أساسا من أبناء القبائل يجتمع عند الحاجة،زيادة على التناحر على الوصول إلى السلطة بين هؤلاء.

4-كثرة الاعداء واتساع رقعة الصراع: فقد كان للدولة الأموية العديد من الأعداء الذين اختلفت أسباب خلافهم معها وعلى رأسهم الخوارج والشيعة والعلويون والعباسيون، وكلهم سعوا لإسقاطها بكل الوسائل.

5-اضطهاد الولاة للرعية: كان للأمويين بعض القادة شديدي الولاء والباس كالحجاج بن يوسف ومسلم بن عقبة وبالرغم من صلاح بعضهم كالحجاج إلّا أنّهم اعتمدوا في سبيل توطيد أركان الدولة والقضاء على الفتن قسوة مفرطة أدت إلى نفور الرعية وثورتها على الدولة مع كل خارج عنها.

العبر والعظات:

-الخلاف الداخلي يؤدي إلى التشتت ثم الضعف والانهيار،فأي خلاف يجب القضاء عليه بدون هوادة.
-خلق الكثير من الاعداء يؤدي إلى تشتت القوى، فيجب تضييق دائرة الاعداء ثم التفرغ لهم واحدا بعد واحد.
-يجب اجتثاث ومحو العصبيات العرقية والجهوية من جذورها لما لها من خطر على كيان الدولة.

المحاضرة الثانية:قيام الدولة العباسية(132-656هـ/750-1258م):

هدف المحاضرة:ذكر عوامل وظروف قيام الخلافة العباسية.

أدى سقوط الامويين إلى قيام كيان جديد هو الدولة العباسية.

1-البيت العباسي:ينتسب العباسيون إلى العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، وقد كان ذا مكانة عند قومه في الجاهلية والاسلام (نشير هنا الى أن النسب والقرب من الصالحين ليس له أهمية في الاسلام ولن كان له اعتبار عظيم وقتئذ).

وجد العباسيين الذي يليه هو ابنه عبد الله بن العباس حبر الامة ثم نجد ابنه علي بن عبد الله بن العباس الملقب بالسجاد لكثرة صلاته .

ووالد الخلفاء العباسيين هو ابنه مُحَمَّد بن علي بن عبد الله بن العباس،وهو أول من طلب الخلافة من العباسيين وسعى لها سعيها، بداية بالدعوة التي نظمها تنظيما فريدا ثم خلفه أبناؤه ابراهيم والسفاح والمنصور الذين أقاموا الخلافة.

فالنسب الى النبي ﷺ كان له أثر في قيام الدولة العباسية، حيث استغله العباسيون أحسن استغلال ضد الامويين بأنّهم أبناء عم النبي ﷺ وأن آباءهم كانوا من الصالحين وساهموا في خدمة الاسلام على رأسهم عبد الله بن العباس.

2-الدعوة العباسية: لم تقم الدولة العباسية بشكل اعتباطي فقد مهد لها العباسيون بدعوة منظمة وزرع أفكار أدت في الأخير إلى قيام خلافة حكمت المسلمين أكثر من 5 قرون، وأول من بدأ ذلك مُحَمَّد بن علي بن عبد الله بن العباس وقد مرّت هذه الدعوة بمرحلتين السرية والجهرية.

أ- الدعوة السرية: والتي بدأها مُحَمَّد بن علي بن عبد الله بن العباس في حدود سنة (99هـ/718م) وكانت أشهر دعوة للخلافة وأكثرها تنظيما وقتئذ هي دعوة العلويين بزعامة مُحَمَّد بن علي بن أبي طالب الملقب بابن الحنفية، ويعرف أنصاره بالكيسانية، ثم ابنه عبد الله الملقب بأبي هاشم، وقد أقام أبو هاشم هذا في آخر حياته عند مُحَمَّد بن علي بن عبد الله بن العباس في الحميمة بالشام، ونشأت بينهما علاقة قوية زيادة على علاقة الدم (أبناء عمومة العباس وأبو طالب) وتوفي عنده سنة (98هـ/717م).

وهنا يذكر أنصار العباسيين بأنّ أبا هاشم الذي لم يكن له ولد يرثه (فالإمامة عند الشيعة تنتقل بالوراثة في البيت العلوي) عهد بأمور الدعوة الى مُحَمَّد بن علي بن عبد الله بن العباس وأطلعه عل أسرارها وتنظيمها، واستغل مُحَمَّد بن علي العباسي هذه التزكية وجمع أنصار العباسيين وجزء من العلويين والشيعة وأقام دعوته على الدعوة للرضا من آل مُحَمَّد أي للعباسيين والعلويين.

ليبدأ دعوته سنة (99هـ/718م) بكل سرية واتقان وحرص مستغلا التسامح الذي ساد في عصر عمر بن عبد العزيز، وركز الدعوة في ثلاثة محاور هي الحميمة مركز التخطيط والكوفة للإشراف على الدعاة وخراسان مسرح نشر الدعوة، ووضع للدعوة جهاز بالغ الدقة والتنظيم حتى يتسنى لها النجاح ولا تكتشف من طرف الأمويين.

توفي مُحَمَّد بن علي سنة (125هـ/743م)وعهد بالإمامةلابنه ابراهيم واستمر في نهج أبيه مستعينا بإخوته السفاح والمنصور وكبار الدعاة اشهرهم أبو مسلم الخراساني الذي برع في توطيد الأمر للعباسيين،فأرسله ابراهيم الإمام إلى قائدا للدعوة في خراسان سنة (128هـ/746م) فساهم في انتشارها ونجاحها أكثر.

ب- الدعوة الجهرية:بعد نجاح الدعوة السرية بانتشار أفكارها أمر إبراهيم الإمام أبا مسلم الخراسانيسنة (129هـ/747م)أن يجهر بالدعوة في خراسان لبني العباس،فبدأت المواجهة العسكرية مع الأمويين وألقي القبض على ابراهيم الامام وسجن إلى وفاته سنة (130هـ/748م) وعهد بالإمامة لأخيه عبد الله السفاح.

كانت المواجهة العسكرية لصالح العباسيين فسيطروا على خراسان ثم العراق ودخلوا الكوفة سنة (132هـ/750م) وأعلنوا قيام دولته بقيادة السفاح قبل السقوط النهائي للأمويين.

وكانت المواجهة الفاصلة في معركة الزاب بالموصل وانتهت بانتصار ساحق للعباسيين، ففرت أمامهم فلول الأمويين فدخل العباسيون الشام وسيطروا على دمشق عاصمة الامويين ثم وصلوا مصر وألقوا بها القبض على الخليفة الاموي مروان بن مُحَمَّد وقتلوه،وبذلك انتهى أمر بني أمية بالمشرق.

3-قيام الدولة العباسية (132-656هـ/750-1258م):أعلن قيام الدولة العباسية بالكوفة في ربيع الأول (132هـ/750م) وبويع بالخلافة عبد الله بن مُحَمَّد بن علي بن عبد الله بن العباس الملقب بالسفاح، والذي قضى أيام خلافته في توطيد أركان الدولة.

العبر والعظات:

-التخطيط والتنظيم من أهم أسباب النجاح.

-الدعاوى الدينية من أخطر الأفكار في تحريض الناس وتوجيههم، فيجب الحذر من الدعاوى الباطلة المشوهة للدين الصحيح والمقسمة للأمة.

-القائد الكفء من أهم عوامل النجاح، فيجب اختيار الكفاءات ووضعها في مكانها المناسب.

المحاضرة الثالثة التطور السياسي للدولة العباسية: قسّم المؤرخون الدولة العباسية عصرين مثلا التطور السياسي للدولة وجاء هذا التقسيم حسب القوة والضعف.

هدف المحاضرة: تتبع النظم السياسية للدولة العباسية ارتي ادت الى قوتها في البداية ثم ضعفها في النهاية وتبيين اسباب كل ذلك.

العصر العباسي الأول (132-232هـ/750-847م): وسمي هذا العصر أيضا بعصر القوة والازدهار والعصر الفارسي الأول، وذلك بفعل قوة الخلفاء والخلافة في مختلف المجالات وتحكم الخلفاء في كل الأمور.

وخلفاء هذا العصر هم ابو العباس السفاح (132-136هـ/750-754م) وابو جعفر المنصور (136-158هـ/754-775م) ومُحَمَّد المهدي (158-169هـ/775-785م) وموسى الهادي (169-170هـ/785-786م) وهارون الرشيد (170-194هـ/786-808م) ومُحَمَّد الامين (193-198هـ/808-813م) وعبد الله المأمون (198-218هـ/813-832م) ومُحَمَّد المعتصم بالله (218-227هـ/833-842م) وهارون الواثق بالله (227-232هـ/842-847م).

مميزات العصر العباسي الأول:

-قوة الخلفاء وتحملهم للمسؤولية العظيمة وتحكمهم في كل مقاليد السلطة ولم تتغول عليهم لا القوى الداخلية ولا الخارجية من ذلك تخلص الخليفة أبو جعفر المنصور (136-158هـ/754-775م) من الداعي والقائد الشهير أبو مسلم الخراساني سنة (137هـ/755م)، وتخلص هارون الرشيد (170-193هـ/787-809م) من أسرة البرامكة القوية والنافذة في السلطة سنة (187هـ/804م)، كما دانت لهم الممالك المناهضة، كالروم خوفا منهم مثلما حدث بين هارون الرشيد ونقفور امبراطور الروم التي انتهت بإذعان نقفور لهارون بعد ان اهانه سياسيا وعسكريا.

-سيطرة الفرس على الجهاز الإداري للدولة حيث كان منهم الوزراء والكتاب والقادة أشهرهم أسرة البرامكة التي اشتغلت بالوزارة والولاية لخمس خلفاء عباسيين في هذا العصر ما بين (134-187هـ/752-804م) من السفاح إلى هارون الرشيد الذي فتك بهم سنة (187هـ/804م).

-الازدهار العلمي واهتمام الخلفاء بالعلوم ونقلها إلى اللغة العربية، فكان أن ازدهرت حركة الترجمة وراج سوقها بقوة في هذا العصر فكان قاعدة لما سيأتي بعده في هذا المجال.

-صراع الخلفاء العباسيين الداخلي المستمر لتوطيد أركان دولتهم، كصراعهم مع العلويين وحركاتهم وثوراتهم المستمرة كحركة مُحَمَّد النفس الزكية سنة (145هـ/763م) في عهد الخليفة المنصور وصراعهم مع حركات الزندقة.

-توقف حركة الجهاد والفتوحات الكبرى، إلّا ما كان للعمل على المحافظة على حدود البيضة الإسلامية ومقارعة الأعداء المتربصين خاصة البيزنطيون، فوصل هارون الرشيد إلى البوسفور كما وصلت جيوش المعتصم إلى عمورية.

-ربط الحكم بالدين منذ بداية دعوتهم حيث قال العباسيون أنّهم يحيون السنة وإعادة منهج النبوة عكس الملك الذي بناه الأمويون (ولكن في الحقيقة كانوا أسوأ منهم خاصة مع تقادم دولتهم وضعفها) يقول عن هذا ابن الطقطقي في الفخري في الآداب السلطانية: "أنّ هذه دولة من كبار الدّول، ساست العالم سياسة ممزوجة بالدّين والملك، فكان أخيار الناس وصلحاؤهم يطيعونها تدينا، والباقون يطيعونها رهبة أو رغبة..."، فالتزموا ببعض الرموز كالبردة في المناسبات الدينية، وقربوا العلماء إليهم ولكن في الحقيقة استأثروا بالسلطة بشكل مطلق.

-بناء عاصمة الدولة والخلافة بغداد، فعند قيام دولة العباسيين كانت عاصمتهم الكوفة ثم الهاشمية بالقرب منها ثم الأنبار، وسنة (141هـ/759م) التي ثار فيها بعض أتباعه والذين عرفوا بالراوندية (وهي فرقة من الزنادقة قالت بألوهية المنصور فقاتلها على ذلك وتمكّن منها) بدا المنصور بالتفكير جديا في بناء عاصمة جديدة تكون لائقة بمقام الدولة الجديدة، وبعد بحث ومشاورات علمية حسم أمره على بغداد بقلب العراق.

-تطور نظم الحكم وهذا بفعل الاهتمامات الداخلية للعباسيين واحتكاكهم بالفرس، وتقريبهم، فتطورت مختلف نظم الحكم كالوزارة.

- بداية تفكك الدولة الاسلامية وبشكل نهائي في هذا العصر خاصة في الغرب الاسلامي حيث انفصلت عدة اقاليم لأسباب مذهبية وسياسية أولها الأندلس سنة (138هـ/756م) الذي انتزعه الأمويون بقيادة عبد الرحمن الداخل ثم انفصلت الدولة المدرارية بالمغرب الأقصى (140هـ/758م) ثم الرستمية بالمغرب الأوسط سنة (160هـ/777م) والادريسية سنة (172هـ/789م) وبنو زياد باليمن سنة (204هـ/820م).

- صراع الخلافة العباسية الخارجي للمحافظة على حدود البيضة الاسلامية وخاصة ضد البيزنطيين فوصلت جيوش هارون الرشيد الى البوسفور والمعتصم الى عمورية.

– ظهور الزندقة والزنادقةوثوراتهم على الخلافة، فقد استشرت في هذا العصر بشكل ملفت وخاصة من طرف الفرس ومنهم ممّن وصل إلى مناصب قيادية، كما حصل مع قائد الجيش العباسيّ الأفشين حيدر بن كاوس في عهد الخليفة المعتصم، ففي سنة (225هـ/840م) شكّ فيه الخليفة لأنّه وصله أنّه كاتب بعض حكام الفرس في طبرستان وحسّن لهم الخروج على العباسيين،وأنّه على دين المجوس، فلمّا تأكّد من ذلك بعد محاكمته قتله سنة (226هـ/841م)، وكانت بعض الفرق والأسر الفارسية المسلمة، كذلك متهمة بالزندقة، ويظهر أنّ ذلك من شوائب تاريخها المجوسيّ كوزراء الدولة العباسية البرامكة، فقد كانت لهم علاقة ببعض الزنادقة وآووا بعضهم الآخر كهشام بن الحكم الشيبانيّ الكوفيّ الرافضيّ، الذي كان ينقطع إلى الوزير العباسيّ يحي بن خالد بن برمك (ت187هـ/803م)، وكان القيّم بمجالس كلامه ونظره بالرغم من اشتهاره بالزندقة وانحرافه.

فمن المظاهر الخطيرة الشعوبية والزندقة التي انتشرت بقوةفي العهد العباسيّ، وتجلت الشعوبية في عدة مظاهر سياسية أدبية واجتماعية ودينية، وهذه الأخيرة هي ما يهمّنا، وتجلّى المظهر الديني للشعوبية في الزندقة، فالزندقة هي المظهر الأساسي للشعوبية، وهي أعلى درجات مراحل التحدي الديني والفكري والاجتماعي للإسلام بهدمه من الداخل، فالتغلب على العرب (نواة الإسلام الأولى) لن يكون إلّا بضرب مصدر قوتهم وهو الدين.

فالشعوبية هي التعصب ضد العرب واحتقارهم، وقد اكتملت مظاهرها في العصر العباسيّ الأول فقد تطرّفت في عدائها للعرب خاصة بعد وصول العباسيين إلى الخلافة، وشعور غير العرب وعلى رأسهم الفرس بالقوة، لما بذلوه في نصرة العباسيين، وما نالوه من حضوة عندهم، ومن أوجه تجليات الشعوبية الحركات المارقة التي ظهرت مع قيام الدولة العباسية، والتي ظهرت فيها الشعوبية بشكل جليّ فعملوا على بث سمومهم بين المسلمين حول أمور الدين لصد الناس عنه وتشكيكهم فيه.

ونلاحظ صعوبة الفصل بين الشعوبية ضد العرب ونشاطها ضد الإسلام، لارتباطهما الوثيق، فقد كانت هجمة فارسية تهدف إلى ضرب العرب وكل مقوماتهم بما فيها الإسلام وإحياء الحضارة الفارسية ومقوماتها بما فيها الديانات الفارسية الثنوية وتبجيل وتقديس أعلام الفرس وتفضيلهم على العرب كأبي مسلم الخراساني الذي قالوا بألوهيته، وفي كل هذا دليل على محاربة العرب بمحاربة الإسلام، من ذلك أنّه لما ظهر أمر أبي مسلم الخراسانيّ (ت137هـ/754م) في خراسان كتب والي الأمويين بها نصر بن سيار (ت131هـ/748م) يصف الخارجين عن الأمويين بقوله:

أَبْلِغْ رَبِيعَةَ فِي مَرْوٍ وَفِي يَمَنٍ أَنِ اغْضَبُوا قَبْلَ أَنْ لَا يَنفَعَ الْغَضَبُ
مَا بَالُكُمْ تُنْشِبُونَ الْحَرْبَ بَيْنَكُمُ كَأَنَّ أَهْلَ الْحِجَى عَنْ رَأْيِكُمْ غُيُبُ
وَتَتْرُكُونَ عَدُوًّا قَدْ أَحَاطَ بِكُمْ مِمَّنْ تَأَشَّبَ لَا دِينٌ وَلَا حَسَبُ
لَا عَرَبَ مِثْلُكُمُ فِي النَّاسِ نَعْرِفُهُمْ وَلَا صَرِيحَ مَوَالٍ إِنْ هُمُ نُسِبُوا

مَنْ كَانَ يَسْأَلُنِي عَنْ أَصْلِ دِينِهِمُ فَإِنَّ دِينَهُمُ أَنْ تَهْلِكَ الْعَرَبُ
قَوْمٌ يَقُولُونَ قَوْلًا مَا سَمِعْتُ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ وَلَا جَاءَتْ بِهِ الْكُتُبُ

وقد تولّى كبر الشعوبية والزندقة المجوس، والذين ترجموها في عدة حركات ثورية عسكرية جمعت بين العداء للعرب (العباسيين) والعداء للإسلام أشهرها:حركة سنباذ المجوسيوحركة إسحاق ترك وحركة الراوندية وحركة أستاذ سيس وحركة المقنع الخراساني وحركة بابك الخرمي وحركة المازياروالبهافريدية(سنأتي اليها لاحقا في الحركات السياسية ان شاء الله تعالى).

وهناك ملاحظة مهمة فيما يتعلق بظهور الزندقة وانتشارها في العهد العباسيّ بالذات، فالسؤال المطروح ما هي أسباب ذلك؟، والأظهر أنّ ذلك يعود لقرب العباسيين من الفرس منذ محاربتهم للأمويين ثمّ العلويين فيما بعد، إضافة إلى الاستعانة بهم في بناء الدولة باستوزارهم وتقديمهم في المناصب، ما جعل الفرس ومن ورائهم الزنادقة والمجوس يظهرون بقوة في خلافتهم، ويعلنون معتقداتهم التي ضعفت وأفلت في العهد الأمويّ، إضافة إلى اشتغال الخلفاء العباسيين الأوائل بضبط أمن الدولة وبنائها عن محاربة هذه الظاهرة، والأكثر من ذلك تساهل كثير منهم في أمور العقيدة مقارنة بالخلفاء الراشدين والأمويين، فالراشدون ψ أجمعين مثّلوا الدين الحقّ، والأمويون كان فيهم بعض الأخطاء والتقصير، ولكنّهم ركّزوا على الجهاد والفتح ونشر الإسلام وتقريب العلماء وإكرامهم ومحاربة الأفكار المنحرفة بدون هوادة، على رأسهم الخليفة هشام بن عبد الملك الذي قتل غيلان القدري الدمشقي (بعد عام 105هـ/724م) لقوله بالقدر، والوالي الأمويّ خالد بن عبد الله القسريّ (ت126هـ/743م) الذي قتل المتكلم المبتدع الجعد بن درهم (ت نحو 118هـ/736م) صبيحة عيد الأضحى بفعل انحرافاته الأصولية الخطيرة، وذلك بالرغم من الاضطرابات التي عرفتها خلافتهم، ولم يشذ منهم إلّا القليل كالخليفة الحادي عشر الوليد بن يزيد بن عبد الملك (125-126هـ/743-744م)، الذي أشيع عنه انهماكه في اللهو، هذه الأفكار التي حاربها الأمويون أصبحت عند بعض العباسيين كالخليفة المأمون الذي قرب المعتزلة ونصرهم بسلطة الدولة بالرغم من مخالفتهم لبعض أصول الدين، فأصبحت هذه الأفكار عقيدة ومذهبا معترفا به، كل هذا أدى إلى هذه الظاهرة الخطيرة التي جنت الويلات على المسلمين وحضارتهم.

العصر العباسي الثاني(232-656هـ/847-1258م):

ويمتد من سنة (232هـ/847م) إلى سقوط الخلافة العباسية ويعرف بعصر الضعف والانحطاط وينقسم إلى ثلاثة عصور هي عصر نفوذ الأتراك وعصر نفوذ البويهيين وعصر نفوذ السلاجقة

1_ عصر نفوذ الاتراك (232-334هـ/847-946م): وهناك من يسميه عصر النفوذ التركي الأول في إشارة إلى عصر السلاجقة (سنأتي إليه لاحقا إن شاء الله تعالى) بأنّه العصر التركي الثاني استخلف فيه 13 خليفة كانوا مكبّلي الأيدي أمام الجيش الذي غلب عليه الأتراك الذين ظهروا على مسرح الأحداث في عهد الخليفة المعتصم (218-

227هـ/833-842م) الذي استقدمهم للاعتماد عليهم وإبعاد الفرس والعربوالتقليل من الصراع بينهمفكثروا بشكل كبير جدا فاضطر إلى بناء عاصمة جديدة هي سامراء لإخراجهم من بغداد بعد ان اشتكى من شغبهم اهل بغداد وظل متحكما فيهم طوال خلافته ولكن ظهرت شوكتهم في خلافة المتوكل حيث سيطروا على مقاليد الأمور وتدخلوا في شؤون الخلفاء واهتموا بالأموال والسلطان بدل الجهاد وأمان المسلمين.

وخلفاء هذا العصر هم:

10- جعفر المتوكل على الله (232-247هـ/847-861م)

11- مُحَمَّد المنتصر بالله (247-247هـ/861-861م)

12- أحمد المستعين بالله (247-252هـ/861-866م)

13- مُحَمَّد المعتز بالله (252-255هـ/866-869م)

14- مُحَمَّد المهتدي بالله (255-256هـ/870-870م)

15- أحمد المعتمد على الله (256-279هـ/870-892م)

16- أحمد المعتضد بالله (279-289هـ/892-902م)

17- علي المكتفي بالله (289-295هـ/902-908م)

18- جعفر المقتدر بالله (295-320هـ/908-932م)

19- القاهر بالله (320-322هـ/932-934م)

20- الراضي بالله (322-329هـ/934-940م)

21- المتقي لله (329-333هـ/940-944م)

22- المستكفي بالله (333-334هـ/944-946م)

واتسم هذا العصربمايلي:

-ابتداء نفوذ الجنود الأتراك فقد كانت الغلبة للعرب ثم للفرس ثم الأتراك الذين تغلبوا على الخلافة والخلفاء وكبلوهم حتى قال أحد الشعراء:

خليفة في قفص بين وصيف وبغا

يقول ما قالا له كما تقول الببغا

ومما ساعد على سيطرة الجند التركي هو نقص خبرة الخلفاء فأغلبهم كانوا حديثي السن مقارنة بمنصب الخلافة فالمعتز تولاها وعمره والمقتدر كان في الثالثة عشر كما كان من الخلفاء من اعتمد عليهم في تولي السلطة وهذا من السخافة

كونهم يبقوا أصحاب فضل عليه وأكثر هؤلاء انقلبوا عليهم زيادة على الصراع بين الأمراء العباسيين كتسلط المعتز على أبيه المتوكل وقتل الجند له والصراع المرير بين المستعين والمعتز.

-مقتل أغلب خلفاء هذا العصر فقد قتلوا على يد الجند التركي المتسلط عليهم وكانت فاتحة هذا الأمر المنكر بقتل المتوكل ثم المنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي والمقتدر والقاهر والمستكفي في صورة بارزة على كثرة الاضطرابات والهرج الذي أصاب الخلافة.

-ظهور منصب أمير الامراء وكان هذا خاتمة هذا العهد العفن بالاضطرابات بين سنتي (324-334هـ/936-946م) في خلافة الراضي بالله وقد لجأت الخلافة الى هذا المنصب الذي يمثل كبير قادة الجيش والدولة والمتحكم فيها بعد فساد شؤون الحكم وعجز الوزراء عن تسيير شؤون الدولة ما دفع الخليفة الى استحداث هذا المنصب وتولية شخصية قوية بإمكانها التحكم في الأمور والقضاء على الصراع الداخلي على السلطة وأول من تولاه هو القائد ابن رائق أمير البصرة الذي أصبح الحاكم الفعلي للدولة ولكن هذا الاجراء لم يصحح الأوضاع بل زادها اضطرابا بفعل احتدام التنافس على هذا المنصب بين كبار الأمراء وقادة الجيش وتضاعف ضعف الدولة وانحصرت سلطة الخليفة على بغداد وما جاورها بانفصال عدة أقاليم نهائيا.

-انفصال عدة أقاليم عن الخلافة العباسية وهذا من أهم مظاهر الضعف كما يقول ابن خلدون في المقدمة "أوّل ما يقع من آثار الهرم في الدولة انقسامها" وقد كان من هذا الانفصال نهائي بعدم الاعتراف الديني والدنيوي بالخلافة العباسية كالعبيديين والقرامطة ومنه من حفظ الدعوة والولاء الديني للعباسيين كالطولونيين في مصر (وسنفصل في ذكر هذه الدول في المحور الثالث ان شاء الله).

2_ عصر نفوذ البويهيين (334-447هـ/946-1055م): أو العصر البويهي ويسمى أيضا العصر الفارسي الثاني كون العصر العباسي الأول هو الفارسي الأول كناية على نفوذ الفرس في العصريين ونسبة هذه التسمية (بويه) إلىأسرة فارسية ديلمية هي أسرة بني بويه والتي بدأ ظهورها على يد ثلاث إخوة هم علي والحسن وأحمد والذين عملوا مرتزقة عند الدويلات الخراسانية والفارسية إلىأن استقل علي بن بويه ببلاد فارس واتخذ شيراز عاصمة له سنة (321هـ/933م) جاعلا منها قاعدة لملك قوي جدا.

أما في العراق فكان الأمر الى ادبار بفعل التكالب على السلطة بين أمراء الجيش والولايات وهيمنة الأمراء الأتراك على السلطة وسعيهم الى الأموال والنفوذ فراسل بعض القادة وأهالي بغداد بني بويه ليدخلوا بغداد وينقذوها من تكالب الأمراء فأجابهم الى ذلك أحمد بن بويه ودخل بغداد دخول المنتصرين سنة (334هـ/946م) واستقبله الخليفة ولقبه بأمير الأمراء.

وخلفاء هذا العصر هم

23- المطيع لله (334-363هـ/946-974م)

24- الطائع لله (363-381هـ/974-991م)

25- القادر بالله (381-422هـ/991-1031م)

26- القائم بأمر الله (422-467هـ/1031-1075م)

مميزات العصر البويهي:

اتسم هذا العصر بعدة سمات هي:

-استمرار ضعف الخلفاء وسيطرة القادة فقد دخل أحمد بن بويه بغداد بصفته أمير الأمراء وسار في البداية على نهج الأتراك في اخضاع الخلفاء من ذلك خلعه للخليفة المستكفي في نفس السنة التي دخل فيها بغداد ومع اننا نرى ان خلفاء هذا العصر قد طالت مدة حكمهم فهذا لا يعني أنهم استرجعوا نفوذهم وانّما للاستقرار الذي أوجده بنو بويه في ملكهم في بغداد فحالة الخلفاء فقد زادت سوءا لاستئثار البويهيين بكل السلطات والاكثر من ذلك الاختلاف المذهبي فالبويهيون شيعة غالية خالفوا المذهب السني للدولة فأذلّوا الخلفاء بفعل النظرة الدونية الى أهل السنة وقرّبوا الشيعة ونصروهم.

-استفحال الصراع المذهبي بين السنة والشيعة فقد ظلّت السلطة ببغداد منذ تأسيسها وعموم العراق بيد السنة وعرفت الدولة استقرارا مذهبيا باستثناء بعض القلاقل التي أحدثتها فتنة خلق القران ولكن في العهد البويهي استفحل أمر الشيعة واخذوا يظهرون مذهبهم بسب الصحابة واحياء أعيادهم ومنكراتهم بإيعاز من البويهيين وتحت حمايتهم فأثاروا حفيظة أهل السنة فكانت فتن دامية قتل فيها خلق كثير ودمار كبير في بغداد بشكل خاص كسنوات 338-340-346-347-351 وفي سنة 352 أمر معز الدولة البويهي أن تغلق الاسواق وتلبس النساء المسوح لإحياء عاشوراء والاحتفال بيوم غدير خم (18 ذي الحجة) وسنة 398 جرت فتنة مدمرة تدخل فيها الخليفة القادر وانتصر لأهل السنة وسنة 320 كتب أيضا الخليفة القادر بالله رسالتين أقر فيهما عقيدة أهل السنة وذكر فضائل الصحابة ثم عزل خطباء الشيعة ولكن هذا لم يوقف الصراع بين المذهبين.

وسبب اذلال البويهيين للخلفاء وتقريبهم ودعمهم للشيعة هو اعتقادهم بأحقّية العلويين بالخلافة وأنّ أهل السنّة اغتصبوها ولولا خوفهم من خروج الأمر من أيديهم لنزعوها من العباسيين لأنّ البقاء مع خليفة غير شرعي في نظرهم أسلم لهم من خليفة شرعي عندهم وعند اتباعهم قيمته أكبر من قيمتهم ويتحكم فيهم.

-استلاء العبيديين على مصر (358هـ/969م) قامت الدولة العبيدية بالمغرب ولم تعترف بالخلافة العباسية فأعلنت نفسها خلافة فكان هذا أول شرخ ديني من نوعه في تاريخ الاسلام بوجود خليفتين وسعت منذ أيامها الأولى الى دخول

المشرق عبر بوابته الغربية مصر فكان لها ذلك بعد عدة محاولات وتعد أخطر دولة على العباسيين لإنكارها خلافتهم وعدائها الشديد لها ودعمها للحركات والكيانات المناوئة لها والمنحرفة كالقرامطة والصليبيين.

3_ عصر نفوذ السلاجقة (447–656هـ/1055–1258م):

ويسمى أيضا بالعصر التركي الثاني نسبة الى عصر نفوذ الأتراك الذي عرف بالأول ونسبة التسمية الى أسرة تركية هي آل سلجوق بن دقاق الذين ظهر أمرهم بعد استلائهم على خراسان سنة (429هـ/1038م) بزعامة طغرل بك بن مكائيل بن سلجوق واعلان قيام دولتهم رسميا ثم دخلوا العراق وأنهوا تسلط البويهيين واشتهر منهم السلطان ألب أرسلان وملكشاه والوزير العظيم نظام الملك وقد انقسموا الى خمس بيوتات هي:

-السلاجقة العظام بخراسان والعراق (429-522هـ/1038-1128م) سقطوا على يد الدولة الخوارزمية.

-سلاجقة كرمان أسّسها أخو ألب أرسلان قاروت بك بن داوود بن ميكائيل بن سلجوق (432-583هـ/1041-1187م) سقطت على يد قبائل الغز التركمان.

-سلاجقة كردستان (عراق العجم) (511-590هـ/1117-1194م) سقطت على يد الدولة الخوارزمية.

-سلاجقة الشام أسّسها تتش بن ألب أرسلان (487-511هـ/1094-1117م) وكانوا جزءا من سلاجقة العراق.

-سلاجقة الروم بآسيا الصغرى اسسها قتلمش بن اسرائيل بن سلجوق (470-700هـ/1077-1300م) وهي الأشهر بعد السلاجقة العظام وكان لها الفضل الكبير في جهاد الصليبيين والبيزنطيين وساهمت بطريقة غير مباشرة في ظهور الدولة العثمانية التي قامت على أنقاضها.

وخلفاء هذا العصر هم:

26- القائم بأمر الله (422-467هـ/1031-1075م)

27- المقتدي بأمر الله (467-487هـ/1075-1094م)

28- المستظهر بالله (487-512هـ/1094-1118م)

29- المسترشد بالله (512-529هـ/1118-1135م)

30- الراشد بالله (529-530هـ/1135-1136م)

31- المقتفي لأمر الله (530-555هـ/1136-1160م)

32- المستنجد بالله (555-566هـ/1160-1171م)

33- المستضيئ بأمر الله (566-575هـ/1171-1178م)

34- الناصر لدين الله (575-622هـ/1178-1225م)

35- الظاهر بأمر الله (622-623هـ/1225-1226م)

36- المستنصر بالله (623-640هـ/1226-1243م)

37- المستعصم بالله (640-656هـ/1243-1258م)

-ومن أشهر اعمال السلاجقة جهادهم ضد البيزنطيين في اسيا الصغرى وبلاد الشام أشهر ذلك ملحمة ملاذكرد سنة (463هـ/1071م) بقيادة ألب أرسلان ضد رومانوس وانتهت بانتصار ساحق للمسلمين وكارثة للبيزنطيين وأوروبا جمعاء حيث مثلت العد التنازلي لبيزنطة كإمبراطورية كبرى اضافة الى جهادهم ضد الصليبيين بعد بداية الحملات الصليبية وترسيخ روح الجهاد من جديد.

-اضافة الى جهودهم العلمية فقد أعطوا نفسا جديدا للمسلمين بعد مرحلة من الركود من ذلك بناء المدارس أشهرها النظامية في بغداد ونيسابور التي كانت بمثابة جامعات كبرى وتقريبهم وتقديرهم للعلماء وخدمة أهل السنّة والجماعة.

-تقدير الخلفاء العباسيين والرفع من شأنهم مقارنة مع البويهيين فقد تمتع الخلفاء بشيء من المكانة في ظل السلاجقة السنّة.

-ضعف العالم الاسلامي فقد بدأ الضعف يدب في المسلمين مشرقا وغربا بفعل البعد عن جادة الدين والالتفات إلى الدنيا والتنافس على السلطان بالصراع الداخلي على الحكم بعد الانقسام الفظيع الذي استفحل بينهم هذا ما استغله اعداؤهم بعد أن فسح لهم المجال فتكالب عليهم الصليبيون والمغول فأثخنوا فيهم فذبّح المسلمون وأخذت أراضيهم وذهبت ريحهم وانتهى هذا بسقوط بغداد على يد المغول فكانت أعظم فاجعة يصلى بها المسلمون بعد انقسامهم وضعفهم.

-ظهور دول جديدة هي الأتابكيات اشهرها:

- الاتابكيةالزنكية الدولة الزنكية (521-541هـ/1127-1147م): التي أسّسها عماد الدين زنكي بن آق سنقر هذا الأخير الذي كان مملوكا للسلطان السلجوقي ملكشاه ومربيا لأبنائه وهو ما يسمى بالأتابكي أي معلم صبيان السلاطين وكانت بالموصل ثم توسعت في شمال العراق والشام فضمّت حلب وحماة وغيرهما وجعلت عاصمتها حلب ثم دمشق من أبرز أعمالها الجهاد ضد الصليبيين الذي كلّل باستعادة الرها سنة (539هـ/1144م) وانتهى حكمها بوفاة مؤسّسها.

-الدولة النورية (521-569هـ/1127-1174م): والتي قامت على يد نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي والذي لقب أيضا بالملك العادل وقد خلف والده في الحكم واستمر في جهاده وأعماله الصالحة واستطاع توحيد عدة

أمصار إسلامية منها دمشق سنة (545ه/1150م) والكثير من القلاع في الشام والعراق وختم أعماله الصالحة بإسقاط الدولة العبيدية في مصر على يد القائد صلاح الدين الأيوبي وتوحيد مصر والشام سنة (567ه/1171م) هذا ما زاد في قوة المسلمين وتماسكهم وكل هذا بفضل السياسة الحكيمة التي انتهجها ومن قبله والده والمتمثلة في:

- إقامة أحكام الشريعة الاسلامية.

- التخلص من المفسدين واللصوص وقطاع الطرق.

- القضاء على الفوضى.

- معاملة الرعية بالحسنى.

- العدل والمساواة بين الرعية فأسس دار العدل وجلس فيها بنفسه.

خرجت من رحم هذه الاخيرة دولة شهيرة هي:

-الدولة الأيوبية (569-648ه/1174-1250م): أسّسها صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب (الأيوبي) من أسرة كردية من أذربيجان دخلت في خدمة السلاجقة ثم الزنكيين بدأت دولتهم في مصر بعدما ضمها صلاح الدين إلى الشام بعد إسقاط العبيديين ثم اليمن ثم الشام بعد وفاة نور الدين محمود سنة (569ه/1174م) وسقوط دولته عاصمتها القاهرة راج في أيامها الأولى الجهاد ضد الصليبيين وقد سبقت ذلك بنشر العلم ونبذ الفرقة والقضاء على الفرق المخالفة وتوحيد الفرق المخالفة وتوحيد أراضي المسلمين ليوجّه صلاح الدين أنظاره بعدها إلى الصليبيين وتمكن من تحقيق أعظم انتصاراته بتحرير بيت المقدس من براثنهم سنة (583ه/1187م) بعد قرن من احتلالها وضرب مثالا باهرا في سماحة الإسلام عند دخول بيت المقدس واستمر جهاده الى وفاته سنة(587ه/1191م) وسقطت دولته على يد المماليك سنة (648ه/1250م).

- الحروب الصليبية (488-690ه/1095-1290م) وهي حملات عسكرية حاقدة قادها الغرب الأوروبي الصليبي ضد العالم الاسلامي في المشرق بشكل خاص استمرت حوالي قرنين من الزمن بلغ عددها ثماني حملات واشتهرت عن باقي الحملات الأخرى السابقة واللاحقة بفعل نتائجها كالحملة الأولى التي أدت إلى احتلال القدس او قادتها كالثانية والثالثة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة منهم شارل قلب الأسد أو بفعل اتجاهها كالرابعة التي غزت القسطنطنية هدفت إلى مآرب اقتصادية ومزايا سياسية ودينية.

دوافعها:

– **الدافع الاقتصادي**:وهذا بغرض الانتفاع الاقتصادي في جانبه التجاري بشكل خاص بفعل المشاكل الاقتصادية التي كانت تعاني منها أوروبا وقتئذ بعد استلاء المسلمين على الطرق التجارية المهمة وتنامي خطر السلاجقة بعد معركة ملاذكرد سنة (463هـ/1071م) وقد دخل التجار الأوروبيون بقوة في هذا الصراع لاستغلال ثروات الشرق التي غدت في القوى الإسلامية المتنامية وخاصة السلاجقة كما أنّ التجار الأوروبيون وخاصة الايطاليون تذمروا من السيطرة المتنامية للمسلمين على بحر الروم (المتوسط) الشريان الرئيسي للاقتصاد العالمي وقتئذ فسعوا إلى القضاء على هذه السيطرة الاسلامية بالقوة ويتجلى هذا الدافع أيضا في الاستراتيجية العسكرية التي اعتمدها الصليبيون والمتمثلة في السيطرة على الموانئ والاهتمام بها وبالمراكز الساحلية لحماية التجارة الأوروبية.

– **الدافع السياسي**:وذلك للاضطرابات السياسية التي كانت سائدة في أوروبا بالحروب بين الأمارات والدول المختلفة فسعوا إلى استرجاع هيبتهم بعد القلاقل المتلاحقة والانهزامات المتكررة أمام المسلمين وخاصة السلاجقة

– **الدافع الاجتماعي**:فقد كان المجتمع الأوروبي الكادح يعاني من عدة مشاكل بفعل القمع الممارس من طرف رجال الدين والاقطاعيين والحكام فسعى للانعتاق من هذه العبودية والبحث عن التحرر بشتى الوسائل ومن أدلة ذلك بعض الحملات التي سبقت الفترة المذكورة والحملات المشهورة بفترة قصيرة جدا منها حملة الفقراء سنة (488هـ/1095م) كما أن أغلب المشاركين في الحملة الأولى من فقراء فرنسا.

– **الدافع الديني**:اول من نادى الى الحروب الصليبية الكنيسة الكاثوليكية في غرب اوروبا بهدف استرجاع الاماكن المقدسة في فلسطين.

وهذه الحملات الثمانية سبعة منها نحو المشرق وواحدة نحو تونس ومن أبرز العوامل التي ساعدت الصليبيين على تحقيق بعض اهدافهم الانقسام الذي عرفه العالم الاسلامي وقتئذ زيادة على الصراع والعداء الذي كان بين الدول الاسلامية.

وكما نلاحظ فان الدافع الديني أقل حضورا بين الدوافع المذكورة ولكن يركز عليه المؤرخون كون هذه الحروب نودي اليها من طرف البابا فهو مؤطرها في أيامها الأولى كما أنّها استهدفت الأماكن المقدسة في الشام ما رسخ فكرة الدافع الديني الرئيسي لكن في الحقيقة لا واقع تاريخي يثبت ذلك فالمتتبع لاحداث هذه الحروب يلاحظ اهتمامها بالجانب الاقتصادي خاصة التجارة وهذا ما ركزت عليه الامارات الايطالية الراعية لنقل الصليبيين وتموينهم كما ان احدى هذه الحملات هاجمت المسيحيين في القسطنطينية (الحملة 4) وبعضها مصر وتونس.

واشهر هذه الحملات هيالحملة الأولى (488-492هـ/1095-1099م)والتي ادت الى السيطرة على بيت المقدس،بدأت على يد البابا أوربان الثاني الذي نادى بضرورة استرجاع الأراضي المقدسة في الشام، وكان أغلب المشاركين

فيها من الفرنسيين البسطاء بفعل الأوضاع الاقتصادية والسياسية المضطربة أما القادة فكانوا من الإيطاليين والفرنسيين، وكانت وجهتها القدس وفي طريقها استولت على بعض المدن أشهرها الرها ثم أنطاكية سنة (491هـ/1098م) وتمكنوا من دخول بيت المقدس في شعبان من سنة (492هـ/1099م) وراتكبوا فيها مذابح رهيبة بحق المسلمين العزل والمسيحيين الأرثذكس واليهود، ووصل عدد الشهداء المسلمين زهاء 70 ألف نتيجة استمرارهم أياما في الذبح والنهب والتدمير، وعينوا ملكا على بيت المقدس مكونين الامارة الصليبية الثالثة، ثم ضربوا حصارا على طرابلس الشام ودخلوها سنة (503هـ/1110م) بعد حصار دام 07 سنوات مكونين الامارة الصليبية الرابعة.

في هذه الظروف المضطربة ظهرت دولة مجاهدة هي الزنكية (521-541هـ/1127-1147م) بقيادة عماد الدين زنكي الذي تمكن بعد سعي مبرور من استعادة الرها سنة (539هـ/1144م) وكانت ضربة موجعة للصليبيين فعزموا على الثأر واستعادتها.

العبر والعظات:

-الكفاءة القيادية ابرز اسباب استقرار وتطور الدول والعكس صحيح.

-الوحدة اساس القوة والاختلاف والتشتت اهم اسباب الضعف ثم الانهيار.

المحور الثاني: الحركات السياسية والاجتماعية في الخلافة العباسية.

المحاضرة الأولى: الحركات السياسية:

هدف المحاضرة:التطرق الى ابرز الحركات السياسية في العهد العباسي وتاثيراتها المختلفة.

إنّ سقوط الدولة الأموية المتهالكة وقيام العباسية الفتية والقوية لا يعني نهاية الاندفاع السياسي والاجتماعي فقد ازدادت الاضطرابات في مختلف المجالات ومنها من فاق ما شهدناه في العصر الأموي.

أولا: حركات الانشقاق العباسي:

حركة عبد الله بن علي العباسي: عم الخليفة المنصور الذي خرج عليه في الشام فقد ثار على خلافة المنصور وكان قائدا للجيش المتوجه إلى بيزنطة وبوفاة السفاح دعا إلى نفسه وخلع بيعة المنصور فبعث إليه المنصور أبا مسلم الخراساني لمحاربته فهزمه ففر إلى البصرة واختفى عند أحد أقاربه حتى قبض عليه المنصور فسجنه إلى وفاته سنة (147هـ/764م).

ثانيا: حركات المقاومة العلوية:

تعود جذور الحركات السياسية العلوية إلى العهد الأموي حيث انقسموا إلى حركات متطرفة ومعتدلة مثّل المتطرفة الكيسانية الذين ادّعوا اتباع مُحَمَّد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب ثم ابنه عبد الله أبو هاشم وعرفوا بالهاشمية وانتهى أمرهم بالتحالف مع العباسيين، والمعتدلة مثّلها الزيدية أتباع زيد (ت 122هـ/740م) بن علي بن الحسين وهم أعدل طوائف الشيعة، وقد خفّت هذه الحركات وغيرها اثناء الدعوة العباسية لتحالفهم معها ضد الأمويين وتشتت زعاماتهم ولكن بنجاح العباسيين في إقامة دولتهم خاب أمل العلويين وعادوا بقوة للمطالبة بحقهم في الخلافة بكل السبل الممكنة فكانت عدة ثورات أبرزها:

1- حركة مُحَمَّد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب الملقب بالنفس الزكية: حركة سياسية بدأت سنة (145هـ/762م) بالمدينة المنورة وكانت من أخطر الحركات العلوية على العباسيين على يد مُحَمَّد النفس الزكية الذي سعى إلى الخلافة منذ عهد الدعوة العباسية ضد بني أمية، وبقيام الخلافة للعباسيين دون العلويين لم يبايع السفاح ولا المنصور واستتر عنهم خوفا منهم فقبض على أهل بيته فقتلوا فخرج للناس وثار على العباسيين، فسيطر على المدينة المنورة ومكة والبصرة وجزء من بلاد فارس فحذره المنصور من مسعاه فرفض الرجوع عن ثورته فبعث إليه جيشا ضخما تمكن من هزمه وقتله فانتهت حركته.

2- حركة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن: وهو أخو النفس الزكية ثار بالبصرة سنة (145هـ/762م) سعت حركته كذلك إلى الخلافة وانتهت في نفس السنة بمقتل قائدها على يد العباسيين.

3- حركة الحسين بن علي العابد بن الحسن بن الحسن بن علي: حركة علوية خرجت في المدينة ومكة، كانت تريد الخلافة، استطاع الخليفة الهادي القضاء عليها في معركة فخ الشهيرة (قرب مكة) عام (169هـ/785م) التي تشتت فيها أكثر البيت العلوي أفلت من هذه المعركة إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن فوصل إلى المغرب الأقصى وأسس دولة الأدارسة.

4- حركة يحي بن عبد الله بن الحسن بن الحسن سنة (176هـ/793م): وكانت ببلاد الديلم والذي أرهق الخلافة فترة من الزمن لكثرت جموعه واشتداد شوكته حتى احتالوا عليه بالأمان والصلح فألقي عليه القبض وسجن إلى غاية وفاته.

ثالثا: حركات الزنادقة: وهي حركات سياسية ودينية سعت إلى القضاء على الاسلام والكيانات السلامية وتصادفت مع الدولة العباسية أبرزها:

1- حركة سنباذ المجوسي: حركة سياسية ودينية قادها سنباذ والذي ظهر بعد قتل أبي مسلم الخراسانيّ سنة (137هـ/755م) على يد الخليفة المنصور، فطلب ثأره وخرج على الخلافة بنواحي أصفهان وتسمى بـ"فيروز أصبهبذ"،

وكان مجوسيا وكذلك أتباعه، وقال بأنّ أبا مسلم الخراساني لم يمت وبأنّ أمر الإسلام إلى إدبار، ووعد أتباعه بهدم الكعبة، وتبعه خلق كثير جدا، فقد كان عدد من قتل معه على يد جند الخليفة المنصور حوالي ستين ألف ولم تزد أيامه عن سبعين يوما فكفى الله المسلمين والعباسيين شره.

2-حركة إسحاق ترك: (137-140هـ/755-757م) حركة سياسية ودينية ظهرت بخراسان بعد قتل أبي مسلم ايضا وتسمى زعيمها بذلك لدخوله بلاد الترك، ويسميهم الأديب ابن النديم المسلمية نسبة إلى أبي مسلم الخراساني، قالوا بإمامة أبي مسلم وبنبوته وبأنّه لم يمت وسيعود ويقيم الدين وينقذ الناس من الظلم، انتهى أمرها في خلافة المتوكل (232-247هـ/847-861م).

3- حركة الراوندية: حركة سياسية ودينية ظهرت سنة (141هـ/758م) وقد خرجت على الخليفة المنصور بمدينة الهاشمية، وهم من أتباعه من أهل خراسان يقولون بتناسخ الأرواح، ويزعمون أنّ ربّهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور، وجعلوا يطوفون بقصره ويقولون: "هذا قصر ربّنا"، فقد قالوا بألوهية أبي جعفر المنصور الذي لم يقرهم على هذا فقاتلوه، فمكّنه الله منهم وقتلهم عن آخرهم، وفي قولهم بألوهية المنصور ثمّ مقاتلته تناقض صارخ يحتاج إلى كثير من البحث لإظهار حقيقة مثل هذه المذاهب ودوافعها.

4- حركة أستاذ سيس: (150هـ/767م) حركة سياسية ودينية ويسمي بعض المؤرخين زعيمها الأمير أستاذ سيس، وهو قائد فارسي ظهر بخراسان، ودعا إلى أفكار كفرية منها ادّعاء النبوّة، خرج معه خلق كثير جدا قاربوا ثلاثمائة ألف مقاتل ناصروه على الخلافة ومحاربة العباسيين وأظهروا الفسوق، وقتلوا الكثير من المسلمين، قبل أن يتمكن منهم العباسيون في نفس السنة ويقتل زعيمها وذلك في خلافة المنصور.

5- حركة المقنع الخراساني: (159-163هـ/776-780م)، حركة سياسية ودينية ادّعى زعيمها الألوهية، وإحياء الموتى وعلم الغيب، والنبوة وقال بتناسخ الأرواح وقصد بذلك نفسه، بأنّ روح الله حلّت في الأنبياء ثمّ في بعض آل علي τ، وأبي مسلم الخراسانيّ ثمّ حلّت فيه، وقال بأنّ أبا مسلم الخراسانيّ أفضل من النبيّ ﷺ،فاتّبعهأناسكثيرون فكانوا يسجدون له، وكان لا يسفر عن وجهه لأصحابه، فلذلك قيل له المقنع، وكان يتعاطى السحر يخيِّل به على أتباعهفكان يخيّل لهم قمرا ثانيا، يقول في هذا الشاعر والفيلسوف أبو العلاء المعريّ (ت449هـ/1057م) في إحدى قصائده:

أَفِقْ إِنَّمَا الْبَدْرُ الْمُعَمَّمُ رَأْسُهُ ضَلالٌ وَغَيٌّ مِثْلُ بَدْرِ الْمُقَنَّعِ

فاستغوى بكل ذلك أهل العقول الضعيفة واستمالهم إلى مقالته، فبعث الخليفة المهدي في طلبه ففر إلى ما وراء النهر وتحصن في قلاعها، وجمع فيها من الطعام وبثّ الدعاة في الناس، فألحّ الخليفة المهدي في طلبه فحوصر فلما اشتد الحصار عليه وأيقن بالهلاك جمع نساءه وأهله كلّهم وسقاهم السمّ فماتوا عن آخرهم وأحرق كل من في القلعة من دواب

وثياب وطعام، وألقى نفسه في النار لئلا يلقى جسده العباسيون، واقتحم العسكر القلعة فوجدوها خالية، وكان ذلك مما زاد في افتتان من بقي من أصحابه بما وراء النهر، فقد كان وعد أتباعه أنّ روحه ستتحول، وأنّه يعود إليهم بعد كذا سنة، ويملّكهم الأرض، فهم ينتظرونه ويسمّون المبيضة وهم بما وراء النهر.

6- حركة بابك الخرمي: حركة سياسية ودينية كانت ما بين سنتي (201-222هـ/817-837م) قادها بابك الخرمي الذي خرج على العباسيين وعلى الإسلام وقال بالتناسخ وبأنّه إله، وبإباحة المحارم على دين مزدك (ت529م)، وكان ابتداء خروجه سنة (201هـ/817م) في خلافة المأمون، فحارب وغلب على أذربيجان وما جاورها، وأراد أن يقيم عقيدة المجوس، فهزم جيوش الخلافة العباسية في عدة وقائع حتى ارعب الناس رعبا شديدا واحتوى إليه القطاع وأصحاب الفتن وتكاثفت جموعه حتى بلغ فرسانه عشرين ألفا، سوى الرجالة وأخذ ينكّل بالناس، فكان أصحابه لا يدعون رجلا ولا امرأة ولا صبيّا ولا طفلا مسلما أو ذمّيّا إلّا قطّعوه وقتلوه، وكانوا يرتكبون الفاحشة بنساء الناس أمام أعينهم، وأحصي عدد القتلى بأيديهم فكانوا أكثر من مائتي ألف، واستمر شره فأنفق المأمون والمعتصم ما لا يحصى من الأموال في حربه، حتى ظفر به المعتصم سنة (222هـ/837م) فحاكمه وقتله.

7- حركة المازيار: حركة سياسية ودينية قادها مازيار بن قارن المجوسيّ الذي كان القائم بدين المجوس بطبرستان، وسمّاه الخليفة المأمون مُحَمَّد لما شارك في فتح بعض جبالها المنيعة مع العباسيين، وولّاه عليها مع دفع الخراج، ثمّ أقره عليها المعتصم، وظهر خروجه عن العباسيين في خلافة المعتصم سنة (224هـ/839م)، ومن اعتقاداته أنّه كان يمجد مزدك (ت529م)، وبابك وعموم المجوس، وحارب الخلافة العباسية وأهلك أهل طبرستان حتى قبض عليه الطاهريون(دولة مستقلة عن العباسيين سنأتي إليها لاحقا إن شاء الله تعالى) سنة (225هـ/840م) وأرسلوه إلى المعتصم فحاكمه ثم قتله.

8- حركة بهافريدوالبهافريدية: أو البهافريذيةوالسيسانيةالتي جمعت بين العمل السياسي والدينيوهم صنف من المجوسظهرت في نهاية الخلافة الاموية وسيطرة أبي مسلم الخراسانيّ على خراسان ونيسابور على يد بهافريد (ت132هـ/750م) (وورد بهافريذ وعند الخوارزميّ صاحب مفاتيح العلوم آفريد بن فردردينانظهر بنيسابور، بدأ أمره بغيابه في الصين سبع سنين ثمّ رجع وادّعى أنّه كان في السماء وأنّ الله أوحى إليه، وأنزله إلى الأرض، فتبعه بعض الجهلة وأخبروا النّاس أنّهم رأوه ينزل من السماء، فصدّقه وتبعه كثير من المجوس، وتكهّن ودعا المجوس إلى مذهبه فاستجاب له خلق كثير،وكان ممّا ادّعاه مخالفته لعقيدة المجوس في كثير من الشرائع، فقد هذّب مذهبه المجوسي وتخلص من بعض الشركيات والخرافات وأضاف إليها بعض تعاليم الاسلام فغدا مع ضلالته أفضل من المجوس،فزعم أنّه يوحى إليه وأنّه فرضت عليه سبع صلوات، ووضع كتابا بالفارسية، وأمر أتباعه بالسجود لعين الشمس على ركبة واحدة واتخاذها قبلة حيثما اتجهت، ونهاهم عن شرب الخمور وأكل الميتة، ونهاهم عن نكاح الأمهات والبنات والأخوات وبنات الأخ، وإصلاح شؤون دنياهم، ولما انتشر خبره أرسل إليه قائد العباسيين أبو مسلم الخراساني من حاربه حتى قتله، وبفعل مزج

بهافريد بين المجوسية وبعض تعاليم الإسلام موّه على الناس فكان أخطر على الإسلام والمسلمين وبني العباس وبالرغم من أنّ حركته كانت عند قيام العباسيين ولكن يذكر ابن النديم وبعض المؤرخين أنّ أفكاره بقيت واستمر أتباعه وهم البهافريدية في الإيمان به ومعاداة المجوس وقالوا بأنّه صعد إلى السماء وسيعود وينتقم من أعدائه.

رابعا– حركات الخوارج:

لم يجد الخوارج بالمشرق موطئ قدم ثابت طوال العهد الراشدي والأموي بالرغم من قوتهم وكثرتهم (الأزارقة مثلا) بفعل الجهد المحمود الذي بذله علي بن أبي طالب ثم الامويون (خاصة واليهم الحجاج بن يوسف) في محاربتهم وبالرغم من ضعف بني أمية في اخر عهدهم إلّا أنّ الخوارج انهزمت فلولهم المتبقية أمام آخر الخلفاء مروان مُحَمَّد الاموي وتشتتوا في الأمصار، منها المغرب وخراسان واليمن وعمان هذه الأخيرة التي أقاموا بها إمارة، ومع قيام الخلافة العباسية نظر إليها الخوارج نظرة عدائية لا تختلف عن نظرتهم للأمويين ولم تمض فترة طويلة حتى ثاروا عليهم في عدة مناطق كالجزيرة الفراتية (إقليم بين العراق وسوريا وتركيا) بقيادة بريكة بن حميد الشيباني وفي عمان التي استقروا بها منذ نهاية العصر الأموي واستطاعوا أن يجدوا بها أتباعا وشوكة لطبيعتها الجبلية والصحراوية ما مكنهم من النجاة من ضربات العباسيين المتوالية الساعية إلى إخراجهم منها (عمان) في عهد السفاح وظل الخوارج بالمنطقة اسميا فقط تحت سلطة العباسيين واشتدت ثوراتهم وكثرت أيضا في عهد هارون الرشيد خاصة بالموصل التي قصدها بنفسه سنة (180هـ/796م) لاجتثاثهم بنفسه وثاروا مجددا بقوة بالجزيرة الفراتية حتى اجتهد الرشيد في قتالهم كحركة الوليد الشاري الذي ظهر سنة (177هـ/793م) ونهب الكثير من المدن ووصل إلى أذربيجان وأتعب الخلافة إلى سنة (189هـ/795م).

وقد خفّت حركاتهم بعد ذلك، ومن تحركاتهم في العصر العباسي الثاني مواجهتهم لجيوش الخلافة بالموصلسنة (283هـ/896م)، وكان قائدهم هو هارون الشاري الصفري، ولكنها كانت حركة ضعيفة سهل على الخلافة اقتلاعها بعد القبض على قائدها وصلبه.

خامسا–حركة القرامطة:

حركة سياسية ودينية منحرفة ظهرت في خلافة المعتمد على الله الذي لم يكد يلتقط أنفاسه من بعد ثورة الزنج حتى واجهته حركة أخطر من الأولى زعمت كذلك النسب إلى آل البيت، وكانت بداية ظهورها سنة (278هـ/891م)، وسموا بالقرامطة نسبة إلى رجل يقال له كرميتة ثم خفف فقالوا قرمط، وكان مذهبهم ظاهره الرفض وباطنه الكفر، وقد كانت حركة معقدة قوية النفوذ بدأت بداياتها من جنوب العراق ثم استفحل أمرها وتفاقم الحال بها وأكدرت عيش الخلفاء، بهزمها لجيوش الخلافة عدة مرات، وكادوا –القرامطة– أن يدخلوا بغداد سنة (315هـ/927م)، وعطّلوا مصالح الناس الدينية والدنيوية، كقطعهم طريق الحجيج والفتك بهم، فتوقف حج أهل العراق وغيرهم بسببهم عدة مرات، وآل بهم

الأمر إلى أن دخلوا المسجد الحرام سنة (317هـ/929م)، في أيام الحج وسفكوا دماء الحجيج، فاستشهد خلق كثير، ثم قام قائدهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسين الجنابي المعروف بأبي طاهر القرمطي بقلع الحجر الأسود وأخذه معه، ولم يبطل الحج منذ كان الإسلام إلّا هذه السنة، وأعادوا الحجر سنة (339هـ/950)، واستمروا في مواجهة العباسيين وترهيب المسلمين حتى كانت نهاية أمرهم سنة (470هـ/1077م) على يد العباسيين بعد حروب طويلة أنهكتهم مع العبيديين والقبائل العربية في البحرين.

سادسا– حركة الزنج (256–270هـ/870–884م):

حركة سياسية عنيفة قادها رجل خرج بالبصرة سنة (256هـ/870م)، زعم انّه من آل البيت كذبا، والتف حوله خلق من الزنج الذين كانوا يعملون بالسباخ، ولهذا عرفت حركته بحركة الزنج وسمي هو بصاحب الزنج واسمه الحقيقي هو علي بن مُحَمَّد بن عبد الرحيم، وكذلك عرف باسم دعي آل علي وأيضا بالخبيث، وكان يدعي الكرامات فتبعه الجهلة من الطغام وطائفة من الرعاع العوام، وقد عاثت هذه الحركة في العراق فسادا، من ذلك دخولهم البصرة سنة (257هـ/871م) وإبادتهم لأهلها فقد ذكر العلامة السيوطي أنّهم قتلوا في يوم واحد بها ثلاثمائة ألف، ولما أرهجوا البلاد وعجز القادة عن اجتثاثهم خرج إليهم الموفق أخو الخليفة المعتمد بالله (256-279هـ/870-892م) بنفسه في جيوش عظيمة، واجتهد في محاربتهم إلى أن مكّنه الله منهم سنة (270هـ/884م).

سابعا– حركة الباطنية الحشاشون:

وهي إحدى حركات الشيعة الأكثر تطرفا واجراما، ظهرت أفكارها منذ القرن (3هـ/9م) في عدة مناطق بالمشرق والدولة العبيدية بالمغرب ثم المشرق والحشاشون في قلعة ألاموت ببلاد فارس بقيادة الحسن الصباح الذي روج لفكرة الأمام المستور وأنّه نابه وينقل المعرفة عنه، وأنّ لكل نص معنى ظاهر ومعنى باطن وقد نظّم حركته تنظيما دقيقا ومحكما، على رأسها داعي الدعاة ونائب الامام المستور ويسمى في الشام شيخ الجبل والمرتبة الثانية كبار الدعاة والثالثة الدعاة والرابعة الرفاق والخامسة الضراوية أو الفدائيون وهم الفئة المسلحة المستعدة للقيام بالأعمال والتضحية في سبيل الدعوة والسادسة اللاصقون والسابعة المستجيبون وهم عامة الناس المؤيدون للدعوة وقد استعملت أسلوب العنف والاغتيال للنيل من أعدائها، واغتالت عدة قيادات بارزة أشهرهم الوزير السلجوقي نظام الملك (ت 485هـ/1092م)، والخليفتين المسترشد (512-529هـ/1118-1135م)، والراشد (529-530هـ/1135-1136م)، وكادوا يغتالون صلاح الدين الأيوبي وانتهى أمرهم على يد المغول سنة (655هـ/1257م).

ثامنا – حركة التمرد الأموي:

والتي تركزت بشكل خاص بالشام، لما كان لبني أمية من فضل بين الشاميين منذ عهد معاوية بن أبي سفيان τ، ولكن كانت حركات ضعيفة جمعت التشيع للأمويين والبغض للعباسيين من ناحية دينية، واختص بذلك العرب دون باقي الأعراق، وأشهر هذه الحركات حركة تميم اللخمي المشهور بالمبرقع سنة (227ﻫ/842ﻡ) بفلسطين بفعل ميوله للأمويين وبغضه لممارسات العباسيين والذي انضمت إليه قبائل كثيرة، وأرهق الخلافة العباسية وقال بأنّه سيعيد الخلافة الأموية ولكن اجتهد العباسيون في حربه حتى انفضّ عنه أصحابه وألقي عليه القبض سنة (228ﻫ/843ﻡ).

يظهر لنا من كل هذا الدولة العباسية بالرغم من قوتها وقوة عصبها إلّا أنّها عرفت حركات سياسية اصطبغت أغلبها بالصبغة العسكرية ساعية إلى القضاء عليهم وهذا راجع إلى عدم اعتبار العباسيين ممن سبقهم فكانت عبرتهم بأنفسهم والشقي من اعتبر بنفسه والسعيد من اعتبر بغيره.

العبر والعظات:

– الظلم والاضطهاد لا يقضي على المعارضة والتمرد بل يخمدها دون اجتثاث أفكارها فالحل في معرفة الأسباب المؤدية إلى المعارضة وحلها بالوسائل السلمية ما أمكن.

– يجب تصفية الصفوف من عند كل تحرك فبقاء المنحرفين فكريا خطر عظيم يظهر بمجرد القضاء على المشكل الأول وسبب التحرك وقد يكون تكون المشاكل المتولدة عن الأتباع المنحرفين أخطر من سبب تكتلهم وهذا ظهر عند العباسيين مع أتباعهم الذين حملوا معهم عقيدة الزندقة إلى قلب العالم الاسلامي.

– الدين مطية كل منحرف باحث عن غرض دنيوي، وهذا ما ظهر في أكثر الحركات السياسية المناهضة للعباسيين، فيجب عدم السماح بالخوض فيه من طرف المبتدعة والجهلة واستغلاله لأغراض دنيوية، وضبط الهيئات الممثلة له وذلك ما يمنع التلاعب ويحفظ وحدة الامة الدينية ويزيد من وحدتها وقوتها، ومثال ذلك الشيعة اليوم فبالرغم من انحرافاتهم العظيمة فإنّ وحدة مرجعياتهم ضمنت وحدتهم السياسية وجعلت منهم قوى بارزة.

– العقائد المنحرفة البيّن زيغها يجب القضاء عليها في مهدها بكل السبل الممكنة لأنّ استمرارها سيجر الويلات على الأمة ولنا في القرامطة وأفعالهم أبرز مثال.

المحاضرة الثانية: الحركات الاجتماعية:

هدف المحاضرة:رصد الحركات الاجتماعية العباسية ودورها في الحياة العامة.

لم تظهر الكثير من الحركات الاجتماعية في المشرق الاسلامي في العهد العباسي بفعل التحكم السياسي في الأوضاع سواء من الخلافة أو القوى المهيمنة عليها لذلك لا نجد إلّا تنظيمات قليلة كانت ضيقة الانتشار وقصيرة المدة.

أولا: حركات اللصوصية:

تعتبر حركات اللصوصية والصعلكة من الحركات الاجتماعية البارزة في التاريخ الإسلامي عامة والعباسي خاصة، وذلك للتأثيرات الكبيرة والمختلفة التي انجرّت عنها، وقد اتخذت عدة أسماء مع تشابه طبيعتها كحركة الأحداث في الشام والزعار في مصر والشطار والعيارين في العراق وهذه الاخيرة أشهر وأخطر هذه الحركات.

حركة العيارين والشطار:

1 – تعريف حركة العيارين والشطار:

هي حركة اجتماعية شعبية ظهرت فيما بين القرن الثاني الهجري وأواسط السابع الهجري في بغداد وبعض الأمصار الإسلاميةامتهنت اللصوصية والإغارة بأسلوب عنيف وفتاك بصفة جماعية وفردية، وكانت الاضطرابات السياسية والفتن المذهبية والقلاقل الاجتماعية مرتعا خصبا لهذه الحركة.

تعريف العيارين والشطار: – لغة:

– العيارون: العيار في اللغة الرجل الكثير الحركة جاء في الصحاح للغوي الجوهري (ت 398ﻫ/1007م)" رجل عيار إذا كان كثير التطواف والحركة ذكيا، ويقال عار الرجل في القوم يضربهم مثل عاث"، والمعنى نفسه نجده في المعاجم الأخرى.

فلفظ العيار (مفرد العيارين) يطلق على الرجل النشيط المتميز بالفتوة والقوة والقسوة والغلظة.

– الشطار: الشاطر في اللغة هو الذي أعيا أهله ومؤدبه خبثا، فقد جاء في القاموس المحيط أنّ الشاطر: "من أعيى أهله خبثا وشطر عنهم شطورا وشطورة وشطارة نزح عنهم مراغما، والشطير البعيد".

إذن فالشاطر لغة هو الذي ابتعد عن عيشة أهله وأعياهم مكرا وخبثا وأعجزهم عن طلبه لفتوته وقوته.

– اصطلاحا:

يصعب إعطاء تعريف اصطلاحي دقيق للعيارين والشطار، وذلك للاختلاف الكبير في تفسير ماهية حركتهم وأفعالهم وأبعادها بين الدارسين قديما وحديثا، خاصة بين المؤرخين القدماء والمؤرخين والباحثين المحدثين، فقد رأى فيهم قدماء المؤرخين فئة مارقة مفسدة لا تبرير لأفعالها أهلكت الحرث والنسل، ورأى فيهم المؤرخون والباحثون المحدثون فئة مقهورة اجتماعيا انتفضت ضد الظلم والفقر واستئثار فئة معينة بخيرات الأمة، هذه الإشكالية التي سنجيب عنها بحول الله تعالى لاحقا في عنصر خاص.

2 – تاريخ وجذور الحركة: يجمع كثير من المؤرخين أنّ جذور الشطار والعيارين في التاريخ العربي والإسلامي تعود إلى ظاهرة الصعلكةالتي انتشرت في العصر الجاهلي، ولكنها لم تكن بالقوة والعنف الذي عرفته حركة العيارين والشطار، إضافة إلى تميزها بالطابع الفردي، إضافة إلى أنّ العيارة والشطارة أعم من الصعلكة فكل متصعلك لص وليس العكس، فلابد للمتصعلك أن يكون ذا مروءة أما الشطار والعيارون فقد احتفظوا بوسائل الصعاليك وزادوا عليها في الفتك ولم يحتفظوا بالغاية.

ولما جاء الإسلام ضعف شأن الصعلكة لأنّ الإسلام نهى عن الكسب غير الشرعي كالسرقة لهذا خفت الظاهرةفقد كانت عقوبة ذلك كبيرة في الاسلامإضافة إلى التوزيع العادل للثروة في أيام الإسلام الأولى وفريضة الزكاة التي كان لها دور فعال جدا في محاربة أوجه الفقر، (الذي كان أحد أسباب التصعلك، ونشير هنا إلى أنّه لم يكن من أسباب العيارة والشطارة) إضافة إلى الخيرات التي أفاضت بها الفتوحات الإسلامية فمن كان يمكن أن يكون صعلوكا أصبح يملك الجواري والعبيد والدور والبساتين، إضافة إلى وجود الحكومة القوية التي كانت تأخذ على يد قطاع الطرق واللصوص، ونفس الشيء نجده في العصر الأموي.

وفي العصر العباسي نجد بداية بوادر الحركة في عدة اقاليم وتمركزت بعد ذلك ببغداد.

3 – تسميات أخرى للعيارين والشطار: وهذه التسميات أطلقها عليهم بالخصوص المؤرخون والأدباء القدامى الذين رأوا فيهم فئة مارقة سافلة أرهجت المجتمع البغدادي وأفسدته ولا مبرر لأفعالها فسموا بأهل الزعارة والدعار والمقامرين والسوقة والعراةوالأوباش والرعاع والطارينوالنطافين والسواطينوهي كلها تسميات تدل على أنّهم من سفلة الناس عملا وخلقا.

4 – العلاقة بين العيارين والشطار:

تبين لنا من خلال الشرح اللغوي للعيارين والشطار أنّه تجمع بينهما صفات كثيرة كالحركة والفتوة والقوة والانطلاق وانعدام الانضباط، فهل هما طائفتان مختلفتان أم هما مسميان لطائفة واحدة؟.

والعيارين والشطار طائفة واحدة وهما تسميتان مختلفتان لمسمى واحد، وهذا ما ذهب اليه أغلبية الباحثين من علماء الدين ومؤرخين وباحثين.

5– حقيقة الشطار والعيارين:

هي حركة مارقة فتّاكة أرهجت عامة بغداد وخاصتها دون وجود مبرر لأفعالها، وهذا الرأي يمثله أغب المؤرخين والأدباء القدماء، مستندين في ذلك على أفعال وصفات العيارين التي امتازوا بها والمخالفة للدين، والتي بجمعها تظهر لنا ملامح حركة فاسدة مهلكة أهلكت الحرث والنسل.

من ذلك أسلوب لصوصيتهم المبني على الفتك والإرهابوالشدة بحرق الممتلكات، ووصل بهم الأمر في سبيل ذلك إلى سفك الدماء وقتل الأبرياء، وقطع الطريق واخذ الغلمان والنساء علانية من الطرق حتى أصبح الناس منهم في بلاء شديد.

كما أنّ أذاهم لحق عامة الناس أكثر من خاصتهم، فعامة أهل بغداد مثلا هم من كانوا يشتغلون بالتجارة ويجوبون الأسواق والطرقات التي كانت أكثر عرضة للعيارين والشطار وليس أدل عل ذلك ما عاناه سوق الكرخ من العيارين سواء بالنهب أو الحرق.

إضافة إلى تميزهم بصفات تثبت انحراف منهجهم وعقيدتهم، من ذلك تميزهم بالعري ذلك ما نستشفه من بعض الشهادات الحية التي نقلت إلينا صفاتهم الكثيرة من بينها العري، وقد حفظ لنا الطبري (ت 310ﻫ/922م) الكثير منها والمتمثلة أساسا في قصائد شعرية وصفت هؤلاء الهمج أثناء الحرب بين الأمين والمأمون (196-198ﻫ/812-814م) من ذلك ما نقله من شعر عمرو بن عبد الملك الوراق البغدادي (ت 200ﻫ/815م) الذي وصفهم في قصيدة طويلة منها:

عريان ليس بذي قميص يغدو على طلب القميص
يعدو على ذي جوشن يعمي العيون من البصيص

إضافة إلى أنّ الأموال التي كانوا ينهبونها كانت تصرف على اللهو والشرب في مخابئهم، وهم في هذا متجاهلين لكثير من أوجه الخير والإحسان كما جاءت بعض الاعترافات من العيارين والشطار أنفسهم يعترفون فيها بزيغ منهجهم وبطلانه أشهرها قصة العيار مع الإمام أحمد بن حنبل (ت 241ﻫ/856م) في السجن فقد أورد العلامة ابن الجوزي (ت 597ﻫ/1201م): "...وبإسناد عبد الله بن أحمد بن حنبل أنّه كان يقول: رحم الله أبا الهيثم فقلت من أبو الهيثم؟ فقال أبو الهيثم الحداد: لما مددت يدي إلى العقاب وأخرجت للسياط إذا أنا بإنسان يجذب ثوبي ورائي ويقول لي: تعرفني قلت لا، قال أنا أبو الهيثم العيار اللص الطرارمكتوب في ديوان أمير المؤمنين أني ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق وصبرت في ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا فاصبر أنت في طاعة الرحمن لأجل الدين..."، فهذا اعتراف خطير من عيار شهير بطاعة الشيطان وبانحراف منهجه.

6- صفاتهم: اجتمعت في العيارين والشطار أغلب الصفات الدنيئة والفاحشة كما ذكرنا وفي الصفات التي أطلقها عليهم المؤرخون والأدباء فلم يوصفوا إلّا بما كانوا عليه:

أ- الفسق: فقد امتازوا بارتكاب جل المنكرات والكبائر كالقتل وقطع الطريق وخطف النساء والولدان وشرب الخمر وحرق أموال الغير والسرقة والتعريوالانغماس في الفساد فلم يجنحوا عن الرذيلة حتى اللواطوالعياذ بالله.

ب- القسوة: وتظهر من أعمالهم السابقة الذكر المتمثلة أساسا في السرقة بالقوة وإهلاك الناس.

جـ- الصبر: وكان على العقاب والفواحش وليس على العبادات والعمل في سبيل الله، وقصة العيار أبي هيثم البغدادي مع الإمام أحمد بن حنبل لخير دليل على ذلك.

د- الشجاعة: إمتاز العيارون والشطار بالشجاعة الفائقة والإقدام الفريد خاصة في أوقات الحروب والنفرات، فقد كان لهم إقدام في الحرب تعجز عنه الجيوش النظامية، من ذلك ما أورده الطبري والمسعودي عن شجاعتهم في الفتنة بين الأمين والمأمون (196-198هـ/812-814م). وقد كانوا يفتخرون بما هم عليه من الشجاعة والإقدام ولهم في ذلك أقوال كثيرةهذا الافتخار الذي يظهر منه وكأنّهم على الصراط المستقيم، وهو دليل آخر على فسادهم وانحراف منهجهم وزيغ مذهبهم الذي لم تكن دوافعه لا اقتصادية ولا اجتماعية.

7 - أسباب نشوء الظاهرة:

لقد تحالفت الكثير من الأسباب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية مما أدى إلى ظهور هذا النوع من اللصوصية المتطرفة والفتاكة المستعملة لأخطر الأساليب والطرق لتحقيق مآربها الفاسدة التي لا يبيحها لا الشرع ولا الوضع وهي:

أ- ضعف الوازع الديني: وبشكل كبير جدا جدا لدى شريحة كبيرة من المجتمع البغدادي فقد انتشرت مختلف الرذائل والفواحش كمعاقرة الخمر والنبيذ والمجاهرة بذلك، وانتشار المواخير التي كانت مرتعا خصبا للزنا، زيادة على الغناء الذي شاع بشكل رهيب، كل هذه الفواحش أدت إلى الاستهتار بإحكام الدين وأدت إلى ظهور فواحش أخرى على رأسها السرقة التي أصبحت تتم بوسائل اكبر منها إثما ألا وهي قطع السبيل والقتل.

ب- الفتن السياسية :

لقد ساعدت الفتن السياسية في المشرق على تطور هذه الحركة تطورا خطيرا، فبداية ظهورها العلني في بغداد كان أثناء الفتنة السياسية بين الخليفة مُحَمَّد الأمين وأخيه المشاقق له عبد الله المأمون (196-198 هـ/812-814 م)، ثم نجدها بشكل كبير وعلني في فتنة سياسية أخرى بين أهل بغداد المبايعين للخليفة المستعين والجند التركي القادم من سامراء المبايع للمعتز سنة (151هـ/768م) حيث سمح للعيارين والشطار بالدخول والتخندق مع الجند المدافع عن بغداد في الفتنتين، وأكثر من ذلك مدوا بالأسلحة وأصبحوا فرقةشبه رسمية ضمن الجند البغدادي، كل هذا ساهم في

انتشارهم وقوتهم، وكان تمهيدا لنشاطهم الإجرامي الجماعي الذي ظهرا علنا في القرن الرابع الهجري واعجز السلطة عن اجتثاثه.

جـ- عدم جدية الدولة في القضاء على الظاهرة:

فزيادة على إشراك السلطة لهذه الطائفة المنحرفة في الفتن السياسية في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي نجدها تلجأ في القرن (4هـ/10م) في بعض الأحيان إلى مصانعتها لترتدع كما حدث مع العيار ابن حمدي البغدادي (ت 332 هـ/944م) الذي أمّنه أمير بغداد واتفق معه على أن يدفع كل شهر مبلغا معينا من المال أملا في أن يرتدع عن التلصص ببغداد ويعرف به جميع المتلصصة، ولكن هذا لم يزد إلّا في شره بما لم يسمع مثله على حد تعبير المؤرخ ابن الأثير (ت 630هـ/1234م)كما أنّ السلطة لم تستحدث أي جهاز يهتم بمثل هذه الظواهر الاجتماعية الخطيرة وبقي جهاز الشرطة الضعيف هو الموكل بمحاربتها دون التمكن من ذلك في كثير من الأحيان.

وما يثير الدهشة هو أنّ أشهر كتب الحسبة التي بين أيدينا لم تشر إلى هذه الظاهرة ولم تتطرق إليها ضمن أعمال المحتسبولا ندري إن كان هذا خارج عن أعمال المحتسب أم لقوة الظاهرة التي أعجز الحكام أمرها ولم يفد فيها حتى إخراج العسكرفما أدراك بأهل الحسبة.

8: تنظيم حركة الشطار والعيارين:

انفردت حركة الشطار والعيارين بكثير من الميزات والتنظيمات التي ميزتها عن باقي الحركات الاجتماعية التي عرفها التاريخ الإسلامي، فانحراف أفعالها لم يتأت إلّا من انحراف أسلوبها.

أ - مأواهم ومساكنهم:

لم يكن للعيارين والشطار منازل وأماكن إقامة لائقة وثابتة، فقد كانت أماكن إقامتهم الطرقات والحمامات والمساجدوالقناطروبعض المخابئ لمبيتهم الجماعي ولهوهم، إضافة إلى الأسواق والمقابر والأدغال والكهوف والمغارات والبراري لاستيعاب أعدادهم الهائلة، ويبدوا أنّ هذا راجع إلى طبيعتهم وسرائرهم الفاسدة التي لا تنزع إلى الاستقرار والتنظيم وحب التشرد والهيام، أو أنّهم لم يميلوا إلى امتلاك المنازل لطبيعة نشاطهم المبني على العيارة وكثرة الحركة وعدم الاستقرار، أو أنّهم عزفوا عن المنازل ولم يستقروا بها كي لا تأخذهم الدولة على حين غفلة، أو هناك احتمال آخر وهو أنّ بعضهم وخاصة رؤساءهم امتلكوا منازل خاصة ولكن لم تعرف لتسترهم كي لا تكبس من طرف الدولة ولذلك لم يعرف خبرها.

ب - لباسهم:

– الرأس: لم يستر العيارون و الشطار رؤوسهم إلا في فترات الحرب والنفرات، فقد كان يغطى بدواخل من الخوصسموها الخوذوكانت تحشى بالرمل والحصى لتحمي الرأس من الضربات، وعن ذلك يقول المؤرخ المسعودي (ت 364هـ/975م) "...وصمد نحوه خلق من العيارين وأهل السجون وكانوا يقاتلون عراة في أوساطهم التبابين الميازر، وقد اتخذوا لرؤوسهم دواخل من الخوص سموها الخوذ ودرقا من الخوص والبواريقد قيرت وحشيت بالحصى والرمل..."، وفي ذلك يقول الشاعر علي أبي طالب الاعمى البغدادي (ت 198هـ/813م):

خرجت هذه الحروب رجالا لا لقحطانها ولا لنزار
وعليهم مخافر الخوص تجزيهم عن البيض والتراس البواري

وكانت هذه الخوذ توضع بشكل فوضوي يجعلها تشبه أشكال مختلفة أقربها إلى شكل السفينة المعروفة بالطيارةفقد أورد الشاعر عمرو بن عبد الملك الوراق البغدادي (ت 200هـ/815م) ذلك بقوله:

حامل في يمينه كل يوم مطردا فوق رأسه طيارة

وهذا يعني أنها كانت توضع بالشكل الذي يجعلها حادة في مقدمة الرأس ومؤخرته بشكل طولي، ويرى الدكتور مُحَمَّد أحمد عبد المولى في هذا الوصف "الطيارة" تهكما وسخرية من العيارين والشطار في وصف خوذ رؤوسهمموليس مجرد وصف فقط.

– الجزء العلوي من البدن: غطى العيارون والشطار أجسامهم في بعض الفترات خاصة الحروب بأثواب بالية من الصوف والوبر، وهذا ما نجده في وصف شعراء بغداد لهم وقد سمى الشعراء هذه الثياب البالية بجواشن الصوف من ذلك قول الشاعر علي أبي طالب الأعمى البغدادي:

خرجت هذه الحروب رجالا لا لقحطانها ولا لنزار
معشرا في جواشن الصوف يغدو ن إلى الحرب كالأسود الضواري

والجواشن جمع جوشن وهي كلمة فارسية معربة تطلق على نوع من دروع على هيئة أقمصة مصنوعة من رقائق مستطيلة من المعدن تتداخل أطرافها بعضها تحت بعض.

– الجزء الأوسط من البدن: اقتصر ستر هذا الجزء من البدن على أزرة يلفون بها وسطهم فقد ذكر المسعودي (ت 364هـ/975م): "...وصمد نحوه خلق من العيارين وأهل السجون وكانوا يقاتلون عراة في أوساطهم التبابين والميازر..."، والتبابين مفرده تبان وهو سروال صغير قيد شبر لستر العورة المغلظة، والميازر مفردها أزرة قيل هي سروال متوسط يصل إلى الركبتينوقيل هي ملحفة غير مخيط وهي تذكر وتؤنث، كما وضعت على الصدر أزرة خاصة لتغطيته أيضا فقد وصف

الأديب الأصفهاني البغدادي (ت 356ھ/967م) في كتابه الأغاني أحد الأشخاص بقوله: "...وقد اتزر بمئزر على صدره وهي أزرة الشطار عندنا..." ويبدوا أنها كانت تطلق على السروال والملحفة في نفس الوقت.

وقد كان لباس العيارين والشطار هذا القصير على رثاثته وتمزقه يظهر عوراتهم لذلك وصفوا بالعراة هذه الصفة التي لازمتهم إلى جانب صفاتهم المنحطة الأخرى.

– القدمان: لم نجد في ما بين أيدينا من مصادر ومراجع ما يشير إلى ما انتعله العيارون والشطار، فلم يشر إلى نعالهم وفي نفس الوقت لم يوصفوا بالحفاة، ولا ندري إن كان هذا راجع إلى طبيعة الشوارع التي لم تستدع انتعال النعال لمثل هذه الفئة، أم أنّ المؤرخين والشعراء شغلتهم صفات العيارين والشطار القبيحة وألبستهم البسيطة وغير الساترة للعورة عن الاهتمام بإقدامهم.

ج – سلاحهم: استعمل العيارون والشطار أثناء النفرات أسلحة غريبة غرابة أفكارهم ولباسهم وقد كانت على النحو الآتي:

– المطرد: وهو رمح قصير للطعن كان يحمل باليد اليمنى وإضافة إلى هذا المطرد كانوا يحملون الأعمدة الحديدية لاستخدامها في الضرب أيضا.

– المقلاع: وهو أداة تستعمل لقذف الحجارة على الخصم.

وكانت الحجارة توضع في مخلاة تحت الإبط، وهذه الحجارة لم تكن صغيرة أو خفيفة وإنما كانت كبيرة ثقيلة على حد تعبير المؤرخ ابن تغري بردي الاتابكي (ت 874ھ/1467م)وكان هذا المقلاع أهم أسلحة العيارين في الحرب حيث يستعمل للدفاع والهجوم من مسافة بعيدة، دون التصادم المباشر مما يجنبهم مواجهة الفرسان وحاملي الرماح، وقد اشتهروا بالمهارة في استعماله ودقة تصويب الحجارة به.

– البارية: وهي حصير منسوج من الحلفاء والقصب وما شاكلهما ومطلية بالقار كترس لتحمي من السهام وكانت تطلى بالقار وتحشى بالحصى والرمل.

– السكين: وهو أشهر ما امتازوا بحمله لخفة وزنه وسهولة استعماله وستره، حيث كان السلاح الأكثر استعمالا عندهم في الأوقات العادية، حيث كان يستعمل للتهديد أثناء عمليات النهب والسرقة.

هذه هي أشهر الأسلحة التي استعمالها العيارون والشطار باجتهاد وتدبير منهم، كما وفرت لهم السلطة التي تحالفوا معها بعض الأسلحة الأخرى كما حدث سنة (251ھ/867م) أثناء دفاعهم عن بغداد ضد الجند التركي القادم من سامراء حيث أعطيت لهم أسلحة للدفاع عرفت بالكافر كوبات وجعل فيها مسامير لمواجهة الجند التركي.

د – شاراتهم: تميز العيارون والشطار بشارات غريبة، فقد كانوا يدخلون ساحات القتال بعلامات غريبة هي:

– الجلاجلوالصوف الأحمر والأصفر: وكانوا يضعونها في أعناقهم، وفي ذلك يقول المسعودي: "...وناس عراة قد جعل في أعناقهم الجلاجل والصوف الأحمر والأصفر..."، ولم نجد فيما بين أيدينا من مصادر معنى هذه الشارة لدى هؤلاء، ويبدو أن هذه العادة الغريبة قد ادخلوها من مواطنهم الأصلية بناء على ما ذكرناه بدليله سابقا بأنّ اغلبهم من أجناس عديدة من غير العرب، وأغلبها كانت إلى ذلك الوقت ابعد ما تكون عن التمدن، فكيف يعقل لشخص أن يضع في عنقه جرسا تشبها بالدواب، وفيما يخص اللون الأصفر والأحمر فيعزوا الدكتور مُحَمَّد أحمد عبد المولى ذلك إلى تأثرهم برهبان البوذية، بانيا فكرته على أساس أنّ قسما كبيرا من العيارين والشطار من أهل السند والهند وهي موطن هذه الديانة التي حسبه رهبانها يرتدون اللونين الأصفر والأحمر.

– بوقات القصب وقرون البقر: ويستعملونها للنفير والترهيب لما تصدره من اصوات مرتفعة ومرعبة.

– أعلام الخرق: وهي رايات يتشبهون بها بالجند النظامي صاحب الرايات والأعلام المعلومة الشكل واللون، وأعلامهم هذه من أقمشة بالية ممزقة (الخرق)، ولا نجد كذلك في ما بين أيدينا من مصادر ومراجع ما يشير إلى لون هذه الرايات البالية، مما يوحي إلى أن هدف هؤلاء السفلة كان التشبه بالجند النظامي أكثر منه وضع علامة بارزة ومميزة، أو أن تميزها كان في قدمها وتمزقها أي في طبيعتها أكثر من لونها، فاللون هو أهم ما يميز الراية قديما وحديثا.

هـ – تنظيمهم الحربي: إختلف تنظيم العيارين والشطار العسكري القيادي حسب الأوضاع السياسية.

– في فترات السلم: تهيكل الشطار والعيارون في فترات الإستقرار السياسي تحت قيادة واحدة أو مجموعة قيادات مستقلة دون مراتب متدرجة أو قوانين مضبوطة، وكان لكل زعيم محلة معينة يسيطر عليها ويخضع له أتباعه فيها، هذا ما نستشفه من بعض الأحداث كقصة ابن حمدي العيار البغدادي الشهير (ت 332هـ/944م) الذي كان يسيطر على بغداد وعياروها وشطارها طوع أمره، فيذكر المؤرخ الصولي البغدادي الذي عايش هذا العيار (ت 335هـ/947م): "...فكان يرسل أصحابه على الناس فلهم في كل يوم حادثة عظيمة وكبس وإغارة على الأموال..." ويقوا المؤرخ بن الأثير في حوادث سنة (332هـ/944م): "...وكثرت الكبسات من اللصوص في الليل والنهار من أصحاب ابن حمدي..."، فقد اشتهر أمره وسطوته حتى هادنه كاتب بغداد ابن شيرزاد الموكل من طرف أمير الأمراء ابن توزون واصطنعه كي يرتدع، والرواية الفريدة ذات الدلائل والعبر الغزيرة التي أوردها أبو حيان التوحيدي البغدادي (ت نحو400هـ/1010م) عن القاضي أبي حامد المروزي البغدادي (ت 362هـ/973م) في قوله: "...انظر إلى فضل ومرعوش وهما من سقط الناس وسفلتهم كيف لهج الناس بهما وبالتعصب لهما حتى صار جميع من في بغداد إما مرعوشيا أو فضليا، ولقد اجتاز ابن معروفوهو على قضاء القضاة بباب الطاق فتعلق بعض هؤلاء المجان بلجام بغلته وقال: أيها القاضي عرفنا أنت مرعوشي ام فضلي؟ فتحير وعرف ما تحت هذه الكلمة من السفه والفتنة وأنّ التخلص بالجواب

الرقيق أجدى عليه من العنف والخرق وإظهار السطوة فالتفت إلى الحراني وكان معه وهو من الشهود فقال: يا أبا القاسم نحن في محلة من؟ قال: في محلة مرعوش، فقال ابن معروف: كذلك نحن عافاك الله من أصحاب محلتنا لا نختار على اختيارهم ولا نتميز فيهم، فقال العيار: امش أيها القاضي في ستر الله مثلك من تعصب للجيران".

فانظر إلى قوله: "...حتى صار جميع من في بغداد إما مرعوشيا أو فضليا..." الذي يتبين منه أنّ هذين العيارين صارا رأس عياري بغداد، وأكيد أنّ شروط الزعامة في هذه الجماعات المنحرفة هي نفسها شروط قيادة الجماعات الإجرامية المتمثلة أساسا في أكثرهم فحشا وانتهاكا للمحرمات وأشدهم قسوة وإجراما وفتكا.

– في أوقات الحروب: أشهر النفرات التي اشترك فيها العيارون والشطار هي الفتنة السياسية بين الأمين والمأمون ما بين (196– 198ﻫ/812– 814م)، وفتنة أهل بغداد مع الجند التركي سنة (251ﻫ/867م)، وفيهما نجد بعض التنظيم العسكري الذي اتخذه هؤلاء لدخول هذه المواجهات حيث نظّموا نظام الجندغير أنّه لدينا نص فريدفي ما بين أيدينا من مصادر يصف التنظيم والتشكيل العسكري للعيارين والشطار وهو في نهاية القرن (2ﻫ/8م)، إضافة إلى أنّه موجز وهو عند المؤرخ المسعودي البغدادي (ت 364ﻫ/975م) الذي يبين ذلك في بداية الفتنة بين الخليفتين الأمين والمأمون موردا: "...وصمد نحوه خلق من العيارين...على كل عشرة منهم عريف، وعلى كل عشرة عرفاء نقيب، وعلى كل عشرة نقباء قائد، وعلى كل عشرة قواد أمير، ولكل ذي مرتبة من المركوب على مقدار ما تحت يده..." وبعملية حسابية بسيطة من هذا النص الفريد عند المسعودي يتضح لنا أنّ عددهم في الفيلق الواحد يصل إلى عشرة آلاف، وفي فتنة سنة (251ﻫ/867م) التي كانت بين أهل بغداد والجند التركي القادم من سامراء نجد تنظيما مخالفا لهذا التنظيم الذي وضعت فيه عدة قيادات، حيث جعل عليهم قائد واحد وهذا ما أشار إليه الطبري: "...وأمر...أن يفرض من العيارين فرض وأن يجعل عليهم عريف..." ويذكر في موضع آخر عن نفس الفتنة: "...فوافاها العيارون من كل جانب فقسم ذلك فيهم و أثبت أسماءهم و رأّس العيارون عليهم رجلا يدعى ينتويه...".

و– قتالهم: بعد أخذهم بالعدة التي ذكرناها يتأهب العيارون للقتال في شجاعة كبيرة، وأول ما كانوا يقومون به ضد خصومهم هو القيام بحركات ماجنة منحطة، كما يقومون بشتم وسب وتجريح أعدائهم والتشويش عليهم والإستهزاء بهم لزعزعتهم، وإذا بدأ القتال يدخلونه كالأسود الضواري بالرغم من بساطة سلاحهم وقوة خصومهم فيصف ذلك علي أبي طالب الأعمى بقوله:

خرجت هذه الحروب رجالا لا لقحطانها ولا لنزار

معشرا في جواشن الصوف يغدو ن إلى الحرب كالأسود الضواري

ومن النثر ما أورده الطبري والمسعودي عن صورة قتال الشطار والعيارين وشجاعتهم الفائقة وقد مدحوا أنفسهم بذلك على لسان أحد العياريناالشعراء منهم:

لنا من طاهر يـوم عظيم الشأن والخطب
أتاه كل طــرار ولص كان ذا نقب
إذا ما حل من شرق أتيناه من الغــرب

إضافة إلى أنّهم كانوا يخرجون للقتال في غاية الفخر والاعتزاز بأنفسهم، فكان العريف يأتي وأمامه عشرة من المقاتلة وعلى رؤوسهم خوذ الخوص والبواري، ويأتي النقيب والقائد والأمير على هذا النحو، فتتعجب العامة من حربهم على بساطة عدتهم مع الفرسان المدرعين وحاملي الرماح، فهؤلاء عراة وخصومهم في غاية العدةوالعدد.

فكل هذه الشهادات من أعدائهم ومن أنفسهم تبين مدى ما تميزوا به من الجرأة والإقدام والشجاعة.

ز– أعدادهم: يظهر من تتبع أخبار العيارين والشطار أنّهم كانوا من الكثرة حتى اهلكوا بغداد وأهلها، حيث مثلوا نسبة كبيرة من عامة بغداد وذلك ما نستنتجه من كثير من المصادر والمراجع التاريخية التي تطرقت إلى الظاهرة، وقبل التطرق إلى محاولة حصر أعدادهم نبين أولا تعداد أهل بغداد في أوج عمرانها.

بلغت بغداد أوج عمرانها في عهد الخليفة السابع عبد الله المأمونبن هارون الرشيد (198-218هـ/815-832م) حيث قدر جرجي زيدان في كتابه "تاريخ التمدن الاسلامي" عدد سكان بغداد في عهد هذا الخليفة بـ 1.5 مليون نسمة، بناء على عملية حسابية قام بها اعتمادا على عدد حماماتها ومساجدها ومختلف مرافقها، وبعد المأمون فقدت بغداد شيئا من نضارتها وعمرانها مما أدى إلى تراجع عدد سكانها ولكن بنسبة قليلة، فقد بقي سكانها مرتفعا حيث يذكر العلامة المؤرخ الطبري البغدادي (ت 310هـ/922م) في حوادث سنة (255هـ/869م) أنّ مقدار ما عبر الجسرين ببغداد مائة ألف من العامة فقط، فما بالك بمن لم يعبروا من العامة وغيرهم.

وإذا جئنا إلى عدد الشطار والعيارين فإنّهم على كثرتهم يصعب حصرهم وتقديرهم، كونهم لم يلتزموا بالتنظيم المحكم الذي يسهل إحصاءهم، إضافة إلى أنّ ما ذكر في عددهم كان في بداية القرن (3هـ/9م)، أثناء التطرق إليهم في خضم الفتنة السياسية بين الأمين والمأمون (196–198هـ/813–815م) التي ذكر فيها المؤرخ المسعودي (346هـ/957م) تنظيمهم شبه العسكري حيث وصل عددهم في فيلق واحد إلعشرة آلاف عيار وشاطر، ويذكر في موضع آخر أنّهم أقبلوا في إحدى وقائع الفتنة المذكورة في خمسين ألف، ويورد في موقعة أخرى أنهم ثاروا في مائة ألف، وهذا العدد الأخير يصعب تصديقه، ولكن مهما كانت المبالغة فيه فإنّه يعطينا صورة عن كثرة هذه الفئة الفاسدة في المجتمع البغدادي عند بداية القرن (3هـ/9م) التي كانت فيها الخلافة العباسية في أوج قوتها، فما أدراك أثناء ضعفها وغلبة المتغلبين عليها خاصة في القرن (4هـ/10)، وبالرغم من صعوبة إحصاء نسبة العيارين والشطار في المجتمع البغدادي فإنّه يمكننا القول بأنهم كانوا من الكثرة ما سمح لهم بالظهور وفرض أنفسهم كفئة اجتماعية يحسب لها ألف حساب، وأنّهم كانوا من الكثرة إلى درجة إذا تحركوا ببغداد أهلكوا.

9- مظاهرها:

أ- المظاهر السياسية:

بالرغم من أنّ هذه الحركة كانت حركة اجتماعية وغلبت على أفعالها الظاهرة الاجتماعية إلّا أنّ أفعالها تجلت في كثير من المظاهر السياسية وأبرز ما يجسد دورها السياسي هو أن ظهورها العلني لأول مرة كان أثناء الفتنة السياسية بين الأخوين المتناحرين الأمين و المأمون وابرز مظاهرها السياسية هي:

- المشاركة في الفتن السياسية والوقائع العسكرية: فقد شارك العيارون والشطار في كثير من النفرات السياسية والعسكرية ليس كعنصر ثانوي هامشي وإنّما كعنصر فعال أبرزها الفتنة المذكورة بين الأمين والمأمون(196-198هـ/811-813م) التي ساهموا فيها مساهمة كبيرة إلى جانب الخليفة الأمين وألحقوا هزائم عديدة بجند المأمون (198-218هـ/813-832م) المحاصر لبغداد كوقعة قصر صالح التي أثخن فيها العيارون والشطار في جند طاهر بن الحسين والتي قال عنها الطبري: "...ولم تكن وقعة قبلها ولا بعدها أشد على طاهر وأصحابه منها ولا أكثر قتيلا وجريحا معقورا من أصحاب طاهر من تلك الوقعة..."ووقعة درب الحجارة التي كانت لهم أيضا والتي حفظها الشاعر عمرو الوراق البغدادي (ت200هـ/815م):

وقعة السبت يوم درب الحجارة قطعت قطعة من ا لناظرة
قدم الشورى حين للقتل عمدا قال أين لكم أريد الإمارة
فتلقاه كل لص مريب عمر السجن دهره بالشطارة

والفتنة الثانية التي شاركوا فيها هي فتنة سنة (251هـ/867م) التي كانت بين أهل بغداد إلى جانب الخليفة المستعين (248 -252 هـ/862-867م) ضد الجند التركي القادم من سمراء والمبايع للخليفة المعتز(252-255هـ/866-869م) التي أعطوا فيها السلاح وانتظموا تحت قيادة منهم.

كما شاركوا في فتن مذهبية وسياسية أخري كان وقعها اقل من المذكورة كخروجهم مع أحد القادة العسكريين وهو الحسن الهرش الذي دعا إلى العلويين فاتبعوه، وكان ذلك سنة (198هـ/813م)، ولكن هذه الحركة لم تثبت أمام ضربات جنود المأمون وفشلت بعد مدة وجيزة في المحرم من سنة (199هـ/814م).

إضافة إلى اشتراكهم في محاربة حركة الزنج، التي ظهرت سنة (256هـ/870م) وناهضت الخلافة العباسية العداء، حيث استعانة بهم الدولة لثالث مرة، وكل هذا لما تميزوا به من شجاعة عسكرية واندفاع في الحروب إضافة إلى انخفاض تكاليف تجنيدهم ويسر جمعهم لكثرتهم.

– التنظيم السياسي والعسكري: وكان ذلك بشكل خاص أثناء الاضطرابات العسكرية المذكورة والذي كان من أبرز (التنظيم) مظاهرهم السياسية والعسكرية، فقد انتظموا أثناء النفرات المذكورة في نظام خاص شبيه بنظام الجند إلى حد كبير حتى يخيل أنّهم فرقة نظامية، ففي أثناء الفتنة بين الأمين والمأمون كان تنظيمهم على الشكل الآتي على ما ذكره المسعودي: "...على كل عشرة منهم عريف، وعلى كل عشرة عرفاء نقيب وعلى كل عشرة نقباء قائد، وعلى كل عشرة قواد أمير...".

كما أنّهم تهيكلوا في تنظيم خاص أثناء فتنة سنة (251هـ/867م) بين الجند التركي القادم من سامراء المبايع للمعتز وأهل بغداد المبايعين للمستعين حيث انتظموا وعينوا عليهم قائدا منهم، وذلك لتنظيم جهدهم وتمييزهم عن الفرق التي كانوا يتحالفون معها، ونفس التنظيم نجده في فتنة الزنج (256-270هـ/870-884م) حيث قادهم قائد عرف بجعلان العيار.

– التنظيم الحركي: فبالرغم مما امتاز به الشطار و العيارون من الفوضى والانطلاق والخروج عن تقاليد المجتمع في كل النواحي خاصة الاجتماعية إلّا أنّهم تميزوا بشيء من التنظيم السياسي لحركتهم فقد كانوا ينتمون إلى زعامات معينة، فقد كان لكل قائد محلة معينة كما كان الشأن مع العيار البغدادي ابن حمدي (332هـ/944م) الذي كان زعيم عياري وشطار بغداد فيقول عنه المؤرخ الصولي البغدادي (ت 335هـ/974م): "... فكان يرسل أصحابه على الناس فلهم في كل يوم حادثة عظيمة ..."، ويذكر عنه المؤرخ ابن الأثير أيضا في حوادث سنة (332هـ/944م): "...وكثرت الكيسات من اللصوص في الليل والنهار من أصحاب ابن حمدي..." وقد كانت هذه التبعية للزعيم فيها من التعصب والشدة ما بلغ إلى إذاية الناس في سبيلها زيادة على ما فيها من السفة، وليس أدل علي هذا ما رواه الأديب أبو حيان التوحيدي البغدادي (ت نحو400هـ/1010م)، عن القاضي أبي حامد المروزي البغدادي الشافعي (ت 362هـ/973م) في قصة فضل ومرعوش مع القاضي ابن معروف، والتي يظهر فيها مدى تمسكهم بزعمائهم وقادتهم إلى درجة تجرئهم على العلماء فما أدراك بعامة الناس الذين لا يملكون الدفاع عن أنفسهم حتى بجميل المقال، وكما بينا سابقا فإن هذه القيادة والزعامة كانت تعود إلى الأكثر تطبيقا لجرائم العيارة والشطارة.

– التعامل مع بعض رجال الدولة : فقد استطاع بعض قادة العيارين والشطار الذين ذاع صيتهم واشتهر شرهم وعجزت الدولة عن قطع فسادهم أن يحظوا باهتمام رجال السلطة، وكان هدف السلطة من هذا التعامل هو الحد من شرهم ومعرفة أشهر مجرميهم وهذا ما يشبه شراء الذمة بعد أن فشلت اغلب الوسائل الردعية وعجزت الشرطة عن اجتثاث شرهم، كما حدث مع العيار ابن حمدي (332هـ/944م) الذي هادنه كاتب بغداد ومتولي أمورها عن أمير الأمراء وهو شيرزاد الذي أمّنه أملا في أن يرتدع وينتهي عن جرائمه ويعرف منه كل العيارين المهلكينوهذا من ضعف الدولة وسوء تدبيرها بعد عجزها عن القضاء عن شرذمة من المفسدين، فكيف يعقل أن تصانع المجرمين وتتعامل معهم،

حتى عقّب ابن الأثير بقوله عن هذه الواقعة: "...وهذا ما لم يسمع بمثلة..."، فكان يجب عليها بدل ذلك الاجتهاد في اجتثاث أوصالهم وقطع دابرهم.

والمشكلة هي أنّ بداية التعامل لا تعود إلى مثل هذه الحادثة وإنّما تعود إلى الفتن السياسية التي ذكرناها كالفتنة بين الأمين والمأمون وفتنة المعتز مع المستعين وثورة الزنج والتي استعانت فيها الدولة بهؤلاء وتعاملت معهم وأمدتهم بالسلاح دون أن تجني من هذا التعامل إلّا الخسران المبين، فبغداد سقطت في أيدي المأمون ثم المعتز ولم يفلح دفاع العيارين عنها، كما أنّ دابر ثورة الزنج لم يقض عليه إلّا خروج اخو الخليفة الموفق بالله الذي قضى عليها، كما أنّ مشاركتهم في الفتن لم تزد بغداد إلّا دمارا.

ب- المظاهر الاجتماعية:

وهي لب وجوهر الحركة فتجلياتها الاجتماعية هي التي سمحت لها بالاشتهار سياسيا وتمثلت في الآتي:

- السرقة: وهي أبرز أعمالهم وأكثرها وبها عرفواواشتهروا فقد كانت صفة اللصوصية من أبرز الصفات المرادفة للعيارة والشطارة لأنّها كانت أكثر أعمالهم شيوعا، كما عرّفوا هم أنفسهم باللصوص كما جاء في قصة العيار ابن الهيثم مع أحمد بن حنبل ﷺ الذي وصف نفسه بأنّه: "... العيار اللص الطرار ..."، كما افرد بعض المؤرخين والادباء فصولا في كتبهم عن اللصوص واللصوصية تكلموا فيها وقصدوا العيارين والشطار كما هو الشأن مع ابن الجوزي البغدادي (ت 597ھ/1201م) في كتابه "الأذكياء"والقاضي أبي الحسن التنوخي البغدادي (ت 384ھ/994م) الذي افرد في كتابه الفرج بعد الشدة فصلا عن اللصوص قصد به العيارين والشطار مباشرة، كما أنّ السرقة هي عملهم الأول الذي بفضله اشتهروا وتهيكلوا بعدما كثروا ودخلوا من بعده الأعمال العسكرية إلى جانب الدولة، وهذا واضح جلي في قصصهم والأشعار التي تناولتهم من ذلك ما أشار إليه الشاعر البغدادي عمرو الوراق (ت 200ھ/815م) في خضم نظمه في الفتنة السياسية بين الأمين والمأمون السالفة الذكر:

قدم الشورجين للقتل عمدا قال إني لكم أريد الإمارة
فتلقاه كل لص مريب عمر السجن دهره بالشطارة

فيظهر لنا من قول الشاعر البغدادي المعايش لهذه الأحداث أنّ العيارين والشطار قبل هذه الفتنة أي أثناء قوة الخلافةمارسوا أهم أعمالهم وهي السرقة وكانت عقوبتهم السجن لمدة طويلة، كما نجد عند تتبع أخبارهم أنّ أبرز ما يقومون به هو السرقة خاصة في القرن (4ھ/10م) حيث تفشي أمرهم وزاد خطرهم وطوروا أساليبهم في ممارسة هذه الجريمة، فلا نجد خبرا لهم إلّا وهو مرتبط بالسرقة وأخذ أموال الناس بكل الوسائل سواء بالاحتيال والفطنة أو بالقوة هذه الأخيرة التي أصبحت هي الوسيلة الشائعة في القرن (4ھ/10م)، وكل هذا وارد في كثير من النصوص التاريخية التي على قلتهاحملت لنا نزرا من أفعالهم وأخبارهم فيورد المؤرخ ابن الأثير (ت 630ھ/1233م) في حوادث (296ھ/909م)

قائلا: "...ووقعت الفتنة والنهب...ببغداد وثار العيارون والسفلة ينهبون الدور..."، ويذكر في حوادث سنة (364هـ/975م): "...وسار العيارون والمفسدون فنهبوا الناس ببغداد..." ويقول فيها أيضا المؤرخ والمحدث والحافظ ابن كثير الدمشقي (ت 774هـ/1372م): "...وفي هذه السنة عظم البلاء بالعيارين...واخذوا أموالا كثيرة..."، ونجد عند المؤرخ ابن الجوزي البغدادي (ت 597هـ/1201م) في حوادث سنة (380هـ/990م): "...وفيها زاد أمر العيارين في جانبي بغداد مدينة السلام...وأخذت الأموال وتواترت العملات واتصلت الكبسات..."، فهكذا كلما تقدمت السنون بدولة بني العباس وانحل أمر الخلافة أكثر بتغلّب المتغلبين زاد أمر المفسدين من الشطار والعيارين الذين زاد شرهم أكثر منذ دخول عصر إمرة الأمراء (324-334هـ/936-946م) وعظم بعد دخول بني بويه إلى بغداد وتسلطهم عليها منذ سنة (334هـ/946م) وزاد النهب كما أورد ابن الجوزي، وكما هو الشأن في حوادث السنين التالية (361هـ/972م) و(362هـ/973م) وسنة (364هـ/975م) المذكورة، وسبب ذلك أنّ بني بويه كانوا ينصرون الشيعة على أهل السنة ويدعمونهم فكثرت بذلك الفتن المذهبية زيادة على الاضطراب السياسي والتدهور لاقتصادي والقلق الاجتماعي وهي الظروف التي كان يبحث عنها العيارون والشطار وليستغلونها لمضاعفة نشاطهم المرتكز علي النهب بكل الوسائل وهذا ما نلمسه ايضا في السنوات الأخيرة للقرن (4هـ/10م) كسنة (390هـ/1000م) التي ذكرها المؤرخ الذهبي (630هـ/1233م) بقوله: "...وفيها عظم أمر الشطار وأتوا بيوت الناس نهارا جهارا ووصلوا العملات وقتلوا وبدعوا وأشرف الناس بهم على أمر عظيم وقويت شو كتهم..." وعن سنة (392هـ/ 1002م) يقول ابن كثير: "...قوي أمر العيارين وكثرت العملات ونهبت بغداد وانتشرت الفتنة ..."، والمتأمل في قول ابن كثير هذا يري أنّه بعدما كنا نجد في السنوات السابقة الذكر المصطلحات التالية: "ينهبون الدور" "نهبوا الناس" " أخذت الأموال " نجد هذه السنة قوله: " ونهبت بغداد " وهذا يعني ويفهم منه أنّ خطر العيارين والشطار قد عظم وانتشر حتى عم جانبي بغداد شرقها وغربها.

– العري: وعدم ستر أجسادهم جيدا، وهي من أبرز صفاتهم الاجتماعية أيضا وقد بيّنا طرفا من لباسهم حسب ما توفر لنا من مصادر، وما نضيفه هنا لا يزيد عن إسقاط هذه الصفة في إطارها الاجتماعي، فكثير ما أطلق عليهم المؤرخون صفة العراةوكانوا لا يتحرجون من ذلك، وما كانوا يلبسونه في بعض الأحيان من لباس لم يكن ليستر أجسامهم، وأكيد أنّ الناس وعامة أهل بغداد قد تحرجوا من ذلك أشد الحرج، لما فيه من مجانبة للتعاليم الدينية وإخلال بالقيم الاجتماعية.

– القتل والخطف: والقتل من أكبر الكبائر وهو أعظم من السرقة والتعري وإنّما ذكرناه ثالثا كونه لم يشتهر عن العيارين والشطار وإنّما كان وسيلة لتحقيق غاية أعظم عند هؤلاء وهي الحصول على الأموال، وإن كانت قوة وهمجية العيارين والشطار قد تطورت عبر الوقت حتى أرهجوا بغداد عند النهاية القرن (4هـ/10م) فإنّ هذه الكبيرة قد مارسوها واستعملوها منذ بداية ظهورهم أي عند بداية القرن (3هـ/9م) وربما قبل ذلك ولكن عدم وجود ذكر لهم قبل هذا القرن حال دون توثيق ذلك فلا نجد ذكرها في ما بين أيدنا من مصادر إلّا سنة (201هـ/817م) التي أورد فيها الطبري

(310ھ/922م) مايلي: "...وفي هذه السنة تجردت المطوعة للنكير على الفساق ببغداد...كان السبب في ذلك أنّ فساق الحربية والشطار الذين كانوا ا ببغداد والكرخ آذوا الناس أذى شديدا، وأظهروا الفسق وقطعوا الطريق وأخذوا الغلمان والنساء علانية من الطرق فكانوا يجتمعون فيأتون الرجل فيأخذون ابنه فيذهبون به فلا يقدر أن يتمنع عليهم،...ويقطعون الطرق علانية..." ومن ذلك ما أورده القاضي التنوخي البغدادي (ت 384ھ/944م) في كتابه الفرج بعد الشدة في خضم حديثه عن أحد قادة شرطة بغداد: "...وتقلد بعد ذلك الشرطة...بحث عن أحد القتلة العيارين فوجدته سكران عليه سراويل فقط وفي يده سكين مخضب بالدم وهو يقول: أخ عليك والك نعم يا سيدي أنا جرحته...وإن مات فأنا قتلته فأنزلته مكتوفا وبعثت به..." ويصف المؤرخ ابن كثير (ت 774 ھ/1372م) أوضاع بغداد في سنة (384ھ/944م) بقوله: " فيها عظم الخطب بأمر العيارين وعاثوا ببغداد فسادا، وأخذوا الأموال...ليلا ونهارا وأحرقوا مواضع كثيرة ...وتطلبهم الشرط فلم يفد ذلك شيئا ولا فكروا في الدولة، بل استمروا على ما هم عليه من أخذ الأموال، وقتل الرجال، وإرعاب النساء والأطفال في سائر المحال..." ويذكر الذهبي في حوادث سنة (392ھ/1002م) ما يبين ممارستهم لهذه الفعلة الشنيعة المهلكة وأنها كانت شائعة في أكثرهم: "...وفيها عظم أمر الشطار...وواصلو العملات وقتلوا وبدعوا..." وهذا ما يبين مدي دناءة أعمالهم وإهلاكهم لأموال الناس وأرواحهم.

– التجرؤ على الخاصة: فكانوا لا يحترمون ولا يوقرون أحدا فزيادة علي النهب والسرقة والعري وعدم احترام أعراف الناس تجرؤوا على العلماء والصالحين غير مبالين بمكانتهم الدينية والدنيوية، ودون توقير لهم، وهذا ما نستنتجه من بعض الوقائع كالقصة التي رواها الأديب أبو حيان التوحيدي البغدادي (400ھ/1010م) التي يظهر منها مدى تجرؤ هؤلاء السفهاء على احد العلماء إلى درجة شد لجام دابته وتهديده وهي واقع العيارين فضل ومرعوش مع القاضي ابن معروف، كما يمكن القول بأنّ خاصة القوم من العلماء وأهل الصلاح لم يسلموا من نهب العيارين والشطار أيضا، فأبو حيان التوحيدي نفسه صاحب هذه القصة كان هدفا لهم ولم يسلم منهم حيث اعتدوا على منزله وأخذوا ما وجدوا فيه وجردوا السكاكين على جاريته يطالبونها بالمال فأرعبوها حتى توفيت، ولم يتركوا له شيئا، فعّقب على ذلك بقوله: "...وأمسيت وما أملك مع الشيطان فجره ولا مع الغراب نقره"،وإذا أخذنا بالاعتبار أنّ جل علماء بغداد وأهل الصلاح فيها كانوا يعيشون مع العامة ولا يتميزون عنهم إلا بعلمهم فأكيد أنهم تأذوا بشكل كبير من هذه الفئة الفاسدة، وما القصتان المذكورتان إلّا نزر قليل مما عاناه أهل الصلاح من العيارين والشطار حتى إن لم تتطرق إليهم المصادر بشكل خاص، لأنّها أوردت الحوادث بشكل عام متطرقة لعامة أهل بغداد دون تمييز.

– شرب المسكر: وإن كانت هذه الرذيلة شائعةفي بغداد في القرنين (3-4ھ/9-10م) وخاصة القرن (4ھ/10م) وما تالاه من القرون، ورغم كل ما تميزوا به من دناءة وانتهاك لمعظم المحرمات كالقتل والخطف والسرقة فإننا لا نجد ما يشير إلى شربها علنا والسير بها في الطرقات أو التنقل في حالة السكر، ويبدوا أنّ هذا لا يرجع إلى احترامهم

لمشاعر الناس او التزاما بالتقاليد أو خوفا من السلطة، وإنّما يعود إلى طبيعة وطريقة نشاطهم وعملهم (اللصوصية بكل الوسائل) التي تفرض عليهم أن يكونوا في كامل قواهم الجسمية والعقلية وترك المسكر إلى فترات الراحة في المخابئ.

ومن كل هذا الذي ذكرناه يظهر لنا مدى فساد هذه الحركة من الناحية الاجتماعية ومدى الأذى الذي ألحقته ببغداد وأهلها، وإن كانت هذه المظاهر قليلة من ناحية الشكل فهي عظيمة من ناحية الجوهر فهل هناك أعظم من القتل والخطف والسرقة بكل الأشكال وإذاء العلماء والصالحين و شرب الخمر.

جـ- المظاهر الاقتصادية:

كانت في كثير من الأحيان انعكاسات للمظاهر السياسية والاجتماعية وتجلت في المظاهر التالية:

- إفساد الممتلكات: وهذا أكبر ما عاناه أهل بغداد خاصة تجارها من هذه العصابات الدنيئة فما كان ينجوا من نهبهم يتعرض للحرق الذي كان وسيلة العيارين والشطار المحببة لسهولة فعله وفعاليته في إتلاف أموال الناس، وأبرز موضع في بغداد كان عرضة لهذا الفعل الشنيع هو سوق الكرخ قلبها النابض وموطن أكثر التجاروفيه أكثر مال بغداد، يذكر ابن الأثير في حوادث سنة (361هـ/973م): "...وفي هذه السنة ظهر العيارون واظهروا الفساد وأخذو الأموال...فنهبت الأموال وقتل الرجال وأحرقت الدور وفي جملة ما احترق محلة الكرخ..."وفي النجوم الزاهرة في حوادث سنة (364هـ/976م): "...فيها من المحرم أوقع العيارون ببغداد حريقا...فاحترق أغلب هذا السوق وهلك شيء كثير..."، ويورد الذهبي في حوادث سنة (379هـ/989م): "...فيها والتي تليها استفحل البلاء وعظم الخطب ببغداد بأمر العيارين وصاروا حزبين...ونهبت أموال الناس...وأحرق بعضهم دروب بعض فانّا لله وإنّا إليه راجعون"، فقد كانت الأسواق الأكثر تعرضا للحرق من طرف العيارين عندما يتم مقاومتهم ومحاربتهم من طرف أهلها فيلجؤون إلى حرقها كي يكثر اللغط والهرج ويسهل نهبها.

- فرض الضرائب: وهذا من أدل الأمور على انحلال أمر الخلافة وضعف الدولة وزوال هيبتها أن يتمكن الرعاع والمجرمون من فرض الضرائب على الناس بالقوة، وكأنّهم ملوك بغير تيجانوقد فشي هذا الأمر في بغداد بعد القرن 2هـ خاصة أثناء الفتن وانشغال السلطة فيقول الطبري في حوادث سنة (201هـ/817م): "...إنّ فساق الحربية والشطار الذين كانوا في بغداد أذوا الناس أذى شديدا...وكانوا يجوبون المارة في الطرق وفي السفن وعلى الظهر ويخفرون البساتين..." وفيما بين أيدينا من مصادر كثير مما يدل على هذاوأبرزه ما أورده ابن الجوزي عن العيار عزيز البغدادي في حوادث سنة (384هـ/994م): "...وظهر العيار المعروف بعزيز من باب البصرة واستفحل أمره والتحق به كثير من الزعار وطرح النار في المحال وطلب أصحاب الشرط ثم صالح أصحاب الكرخ وقصد سوق التمارين وطلب بضرائب الأمتعة وجبى ارتفاع الأسعار الباقية وكاشف السلطان وأصحابه ونادي فيهم وكان ينزل إلى السفن ويطالب

بالضرائب...، فهو في هذا يظهر كأنّه صاحب السلطة ومسير الأمور وما أوصله إلى هذا إلّا ضعف الدولة وتخاذل الحكام.

ثانيا: حركة المطوعة ببغداد:

وهي حركة مناهضة للحركة السابقة ولمختلف المفاسد حيث سعت إلى إصلاح الأمور المنفلتة من لصوصية وغصب أغراض الناس وانتشار العيارين ومختلف المنكرات والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو شعارهم فبادر الصلحاء من كل حي الى السعي إلى وقف ذلك سنة (201هـ/817م) وكانوا يقولون: "يا قوم إنّما في كلّ درب فاسق واثنان إلى عشرة، وعددكم بعد أكثر فلو اجتمعتم حتّى يكون أمركم واحدا لقمعتم هؤلاء الفسّاق..." وأول من قاد ذلك بشكل منظم خالد الدرويش الذي دعا جيرانه الى معاونته على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومجابهة الفساق الذين آذوا الناس أذى شديدا، وأظهروا الفسق وقطع الطريق وأخذ الغلمان والنساء علانية من الطرق وغيرها من المنكرات الرهيبة في حق العامة فتمكن من ذلك مع اعترافه بسلطة الخليفة حيث اوقف اعتداءات العيارين والشطار مدة نشاطه ومنهم سهل بن سلامة الذي علّق مصحفا في عنقه ودعا الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتطبيق تعاليم الشريعة وكل ذلك في فترة غياب المأمون عن بغداد بخراسان (عاد سنة 204هـ/820م) فتبعه خلق كثير فاستطاع القضاء على العديد من المنكرات.

وأحمد بن نصر الخزاعي الذي قاد حركة قوية للنكير على العقائد الفاسدة والمنكرات المتفشية كاللصوصية والافساد وترويع الناس سنة (231هـ/846م) كادت تسقط الخلافة بعد بايعه الناس على ذلك ونظمت الدعوة له في بغداد كاملة ولكن فشلت حركته بعد كشفها في مهدها فالقي عليه القبض فقتله الخليفة الواثق في نفس السنة (231هـ/846م).

العبر والعظات:

- وجوب الاهتمام بالجانب الديني التربوي لأهميته في صقل أخلاق الناس وإبعادهم عن التيارات المنحرفة.
- وجوب عدم التساهل اطلاقا مع الانحرافات الاجتماعية مهما كان دافعها، بوأدها في مهدها حتى لا تستشري وينتشر خطرها بين الناس.
- يجب على الدولة إعطاء اهتمام بالغ للأحوال الاجتماعية وضبطها بنفسها ضبطا يفرض هيبة الدولة ويحفظ حقوق الناس.
- الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد يكون لمن بيده سلطة وليس لكل الناس حتى لا تشيع الفوضى وتذهب هيبة الدولة، وتحدث مناكير أعظم من الاولى.

التقويم النهائي: ما هي أبرز سمات الخلافة العباسية؟.

هل كانت أسباب سقوط الخلافة العباسية ذاتية أم خارجية؟ وكيف كان يمكن تفادي ذلك؟.

المصادر المراجع:

اولا: المصادر

1_ ابن الأثير علي بن مُحَمَّد بن عبد الكريم الجزري (ت630هـ/1232م):
الكامل في التاريخ.

2_ البغدادي عبد القاهر بن طاهر بن مُحَمَّد التميمي الاسفراييني (ت429هـ/1038م):
الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية.

3_ ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت597هـ/1201م):
المنتظم في تاريخ الأمم والملوك.

4_ ابن حزم أبو مُحَمَّد علي بن أحمد القرطبي الظاهري (ت456هـ/1064م):
الفصل في الملل والأهواء والنحل.

5_ الذهبي شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت748هـ/1347م):
سير أعلام النبلاء.

6_ السيوطي جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ/1505م):
تاريخ الخلفاء.

7_ الشهرستاني أبو الفتح مُحَمَّد بن عبد الكريم (ت548هـ/1153م):
الملل والنحل.

8_ الطبري أبو جعفر مُحَمَّد بن جرير (ت310هـ/922 م):
تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: مُحَمَّد البرزنجي.

9_ ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي (ت774هـ/1372م):
البداية والنهاية.

10_ الماوردي أبو الحسن علي بن مُحَمَّد البصري البغدادي (ت450هـ/1058م):
الأحكام السلطانية.

11_ المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين (ت346هـ/957م):

التنبيه والإشراف.
12_ المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين (ت346هـ/957م):
مروج الذهب ومعادن الجوهر.
13_ ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت626هـ/1229م):
معجم البلدان.

ثانيا:المراجع

1_ أحمد عبد الرزاق:
الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى.
2_ أمين أحمد:
ضحى الإسلام.
3_ أمين أحمد:
ظهر الإسلام.
4_ الزركلي خير الدين:
الأعلام.
5_ خالد كبير علال:
مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية خلال العصر الإسلامي ق2-13ه.
6_ الدوري عبد العزيز:
تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري.
7_ السرجاني راغب:
العلم وبناء الأمم.
8_ سزكين فؤاد:
تاريخ التراث العربي، ترجمة: محمود فهمي حجازي وعبد الله حجازي.
9_ الصلابي علي مُحَمَّد:
الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار.
10_ عماد الدين خليل:
مدخل الى التاريخ الإسلامي.
11_ هالة شاكر:

الورق والوراقون في العصر العباسي.
12_ الوكيل مُحَمَّد السيد:
العصر الذهبي للدولة العباسية، دار العلم، دمشق، ط1، 1998.
13-مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
14-مجلة المورد، وزارة الإعلام العراقية، دار الحرية للطباعة، بغداد.
15-مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، 1980.